Chrétiens et juifs dans l'islam arabe et turc
par Youssef Courbage et Philippe Fargues
Editions Payot et Rivages, Paris, 1997, 346 pages

المسيحيّون واليهود في الإسلام العربيّ والتركيّ
تأليف يوسف كرباج وفيليب فارغ

يتطرّق هذا الكتاب المجلّد إلى وضع اليهود والمسيحيّين في دار الإسلام، لا على الصعيد القانونيّ أو الدينيّ أو السياسيّ أو الثقافيّ، بل على الصعيد الديمغرافيّ، وذلك منذ ظهور النبيّ العربيّ حتّى قرننا الذي كان قرن «التطهيرات الإثنيّة» و«الحلول النهائيّة». إنّ هذا المؤلّف، الذي يراعي عاملَي الزمان والمكان، ينطلق من الفتح العربيّ في الشرق الأدنى حيث كان السكّان جميعًا مسيحيّين تُضاف إليهم أقلّيّة يهوديّة ضئيلة. وفي مصر تفيدنا السجلّات الماليّة، وكانت مضبوطة بدقّة فائقة، عن مبلغ «الجزية» الإجماليّ السنويّ، وهي ضريبة الأعناق التي كانت تُجبى من غير المسلمين، وهكذا يمكننا تقدير عدد سكّان مصر في العام ٦٤١ بمليونَين ونصف، كلّهم غير مسلمين، في حين كان عدد السكّان قد قُدّر بأربعة ملايين ونصف في مطلع العصر المسيحيّ. أمّا المشرق (إسرائيل والأردنّ وسورية ولبنان حاليًا)، فلم تتوفّر عنه بيانات دقيقة. ولكن وبفضل استنتاجات حاذقة، قُدّر عدد جميع سكّان ذلك المنطقة بأربعة ملايين. وهناك حساب مماثل يذهب إلى منطقة ما بين النهرين تسعة ملايين ومئة ألف ساكن، وإلى مجمل المشرق الحاليّ أكثر من خمسة عشر مليونًا من المسيحيّين، وأقلّ من مئتَي ألف يهوديّ.

تقدُّم الفتح العسكريّ الإسلاميّ بالسرعة المعروفة، لكنّ الفتح الدينيّ لم يوازِ في كلّ مكان ذلك الزحف الجامح. وفي المشرق، وجب على الجماعات أن تتدرّب على التعايش. ومن هذا القبيل، يذكُر الكاتبان بأنّ كنيسة القدّيس يوحنّا (التي أصبحت الجامع الأمويّ) قُسمت إلى قسمَين، عند الاستيلاء على دمشق: إلى مصلًّى للمسيحيّين ومصلّى آخر للمسلمين. وبعد مرور مئة سنة على الفتح، لم يتجاوز عدد العرب المسلمين مئتَي ألف، يضاف إليهم نحو خمسين ألف مهتدٍ (مُوالٍ) من أصل أربعة ملايين من السكّان. ولم يصبح الفتح السياسيّ دينيًّا أيضًا إلاّ على عهد العبّاسيّين، الذين أخذوا أوّلًا يدعون القبائل العربيّة إلى اعتناق الإسلام. وفي وقت لاحق، انتقلت المدن إلى الإسلام، لكنّ القرى بقيت مدّة طويلة بعيدة عن هذه الحركة، ولا سيّما في الجبال. ومن الأرجح أنّ سورية إجمالًا كانت تحفظ أكثريّة مسيحيّة في نهاية القرن الثاني الهجريّ. ويشير الكاتبان إلى حيرة ديمغرافيّة أكيدة عند المسيحيّين، مبنيّ للجاحظ (٧٧٦-٨٦٨) أن لفت الانتباه إليها. وفي حوالى السنة ٩٠٠، بلغ عدد المسيحيّين في سورية نحو مليونَين، وكذلك عدد المسلمين. وفي وقت لاحق، قبل قيام الحملات الصليبيّة، نشهد هبوطًا ديمغرافيًّا شديدًا:

فلم يبقَ في تلك المنطقة إلاّ مليونان وسبعمائة ألف ساكن، حين اجتاحها الإفرنج، ومليون واحد وستا ألف في ١٣٤٣. وقبل نهاية القرن الخامس عشر، انخفض عدد سكّان بلدان المشرق إلى مليون واحد على أكثر تقدير، منهم مئة ألف مسيحيّ وعشرة آلاف يهوديّ. وفي هذا الزمن، قارب المسيحيّون في الشرق الأدنى أن يزولوا عن الوجود.

لم ينجح الصليبيّون في الثبات طويلًا في الأراضي المقدّسة. فالإعمار الإفرنجيّ لم يذلّل قطّ العقبتين اللتين تغلّبا عليه في النهاية: فقد استمال قليلًا من الأوروبيّين، ولم يتمكّن من التأصّل. هذا وإنّ عدد المهاجرين القليل وعدم تحمّسهم للتقرّب من المسيحيّين الشرقيّين حكما عليهم بالتقلّص، لا سيّما وأنّهم حرموا أنفسهم ممّا كان في إمكان المسلمين أن يفيدوهم به عن طريق اهتدائهم. وهذا الموقف كان يختلف في الأساس عن الأسلوب العمليّ المتّبع في الإسلام، الذي جعل من الاهتداء أداة ترقية اجتماعيّة وانتشار. ففي السنة ١١١٠، لم يزد عدد الإفرنج على عشرة آلاف. وبعد ذلك بثلاثة أجيال أو أربعة، ازداد عشر مرّات وبلغ مئة وعشرين ألفًا، ولكنّه لم يعد يزداد بعد ذلك بسبب هجرة ضئيلة، ونسبة وفيات مرتفعة، ومدّة حياة قصيرة. هذا وإنّ عدم ثبات ديمغرافيّتهم، التي حُرمت كلّ دم جديد يأتيها من الشرق أو من الغرب، جعلهم في أوضاع عسكريّة لا تطاق. وعلى أثر سقوط أنطاكية (١٢٦٨) وطرابلس (١٢٨٩) وعكّا (١٢٩١)، توارى السكّان الإفرنج جميعًا، لأنّهم هربوا أو أُسروا أو قُتلوا، ولم يبقَ منهم إلاّ بعض أولاد من قرانات مختلطة أو بعض عائلات استقبلها البطريرك الماروني.

إنّ أيّام الاحتلال الإفرنجيّ الأخيرة تزامنت وبدايات الاجتياح المغوليّ، فعانى المسيحيّون تجاوزات الممالك وتصلّبًا عامًّا من قبل الإسلام، إذ دُمّرت الكنائس والأديرة، وصودرت الأملاك، وارتُكبت المجازر وجميع أنواع المذلاّت. وعلى العكس، فإنّ العثمانيّين، وخلافًا للاتّجاه المتّبع منذ نحو ألف سنة، مكّنوا السكّان غير المسلمين من القيام بنهضة تكاد لا تصدّق: ففي الهلال الخصيب الذي ورثوه، كان عدد المسلمين في ١٥٨٠ يمثّل ٩٢٪، وعدد المسيحيّين ٧٪ وعدد اليهود ١٪، وفي الذي ردّوه بعد ذلك بأربعة قرون، عند نهاية الحرب العالميّة الأولى، بلغ عدد المسيحيّين ٢٠٪ وعدد اليهود ٢٪. ذلك بأنّ المسيحيّين قد ازداد عددهم بهمّتهم وحدها، إذ إنّهم، للمرّة الأولى في تاريخ دار الإسلام، رفعوا أهمّيّتهم النسبيّة بفعل مواردهم الخاصّة (نسبة المواليد والوفيّات)، لا بفضل إسهام غريب. والكاثبان يحلّلان انطلاقة الموارنة الديمغرافيّة، التي حملتهم على الهجرة إلى الجنوب وكان لها انعكاسات سياسيّة. فإنّ الشهابيّين، أمراء الدروز، والمتسمين إلى السنّة، بدأوا يتحوّلون إلى الطائفة المارونيّة في السنة ١٧٥٦. ومنذ السنة ١٧٧٠، وللمرّة الأولى بعد ظهور الإسلام، نرى على رأس لبنان مسيحيًّا، الأمير يوسف شهاب، فكان هذا الأمر فريدًا في الشرق العربيّ. ومنذ ذلك الحين، ما زال هذا النظام قائمًا، باستثناء حُكم عمر باشا في ١٨٤٢ وإسماعيل حقّي بك في ١٩١٧. والإنعامات التي أغدقها الأمراء على المسيحيّين جعلت من لبنان ملجأ عدّة طوائف تعاني الصعوبات. فنرى في بيروت أفضل شهادة على هذا التطوّر، فإنّها كانت قرية صغيرة حين نزل العثمانيّون على

شاطئها، يكاد لا يبلغ عدد سكّانها ٤٢٠٠، ومنهم ١٠٪ من المسيحيّين. لكنّ هؤلاء المسيحيّين، في منتصف القرن التاسع عشر أو ربّما قبل ذلك بقليل، تساووا عددًا مع المسلمين، ثمّ صاروا ٦٦٪ وحافظوا على هذه النسبة حتّى قيام الانتداب الفرنسيّ.

وفي المشرق، سنة ١٩١٤، بلغ عدد المسيحيّين أعلى نسبة عرفوها منذ أيّام الحملات الصليبيّة، أي ٢٤,٦٪، فإنّ نشأة المدن، وانتشار النشاط في قطاع الخدمات، والتردّد إلى المدارس (بما فيه اشتراك النساء) قد أثّرت في المسيحيّين أكثر ممّا أثّرت في المسلمين. ومع ذلك، فإنّ الأسباب نفسها أعطت نتائج معاكسة: ففي أيّام العثمانيّين، نشهد تسارعًا ديمغرافيًّا، في حين عرفَ القرن العشرون تباطؤًا. لكنّ تلك الظواهر الاجتماعيّة لم تعد في أيّامنا وقفًا على المسيحيّين، بحكم تأثير نزوح أهل القرى إلى المدينة والنمط العائليّ المدنيّ الذي اتُّبع في جميع الطوائف اللبنانيّة من دون استثناء. فإنّ تحقيقًا من معهد الدراسات الديمغرافيّة القوميّ[1] دلّ على هبوط مدهش للخصب في الشرق الأدنى، فإنّه شهد انخفاض ٢٠٪ في مدّة عشرين سنة. قد نأسف على أنّ هذا التحقيق لم يتضمّن، لا انعكاسات نهاية الحرب اللبنانيّة على الهجرة، ولا دراسات تيودور هانف (Theodor Hanf) وفريقه[2]. فإنّ هانف يرى، «خلافًا للأفكار الراسخة، أنّ عدد السكّان المسيحيّين والمسلمين في لبنان يتعادل على وجه التقريب. ومن جهة أخرى، لا تسهل معرفة عدد كلّ من الطوائف الكبرى الثلاث: المارونيّة والسنّيّة والشيعيّة. فبالرغم من الانطلاقة الديمغرافيّة الأكيدة التي عرفتها الطائفة الشيعيّة، فقد أُفرط عادة في عدد أعضائها، إذ إنّه كثيرًا ما عُدَّ الشيعيّون مرّتين: في جنوب لبنان وفي ضاحية بيروت الجنوبيّة[3]. إنّ هذا التعادل بين المسيحيّين والمسلمين وبين السنّيّين والشيعيّين، بعد أن اتُّخذ، بفضل اتّفاق الطائف، طابعًا رسميًّا، ثبّت، في غياب كلّ إحصاء، أرقام المتخيّين التي نشرتها وزارة الداخليّة. وفي عمليّة انتخابات ١٩٩٦، ضمّت اللوائح الانتخابيّة ٢٤٩٦٩٩٨ متخيًّا (بما فيهم المتجنّسون حديثًا)، منهم ٥٢٪ مسلمون و٤٨٪ مسيحيّون[4].

حين نُغلق هذا المؤلَّف، لا يسعنا إلاّ أن نحلم بالعصر الذهبيّ العثمانيّ الذي سبق جميع

---

(١) Institut National d'Etudes Démographiques (I.N.E.D). نُشر هذا التحقيق في تشرين الأوّل ١٩٩٧ (أطلب صحيفة *L'Orient-Le Jour* البيروتيّة بتاريخ ٩/١٠/١٩٩٧)، وممّا جاء فيه أنّه «لم يعد من مجال للقول بأنّ في الشرق الأدنى انفجارًا ديموغرافيًّا». فبين ١٩٧٥ و١٩٩٥، انتقل العراق من ٧,١ ولد لكلّ امرأة إلى ٤,٤، والعربيّة السعوديّة من ٧,٢ إلى ٥,٤ وسورية من ٧,٧ إلى ٤,١ ولبنان من ٤,٦ إلى ٢,٣ والأردنّ من ٧,٨ إلى ٤,٢.

(٢) Theodor Hanf, *Libanon - Koexistenz im Krieg, vom Staatszerfall zur Entstehung einer Nation*, Paris, 1993.

(٣) Th. Hanf, *Quel avenir pour le Liban après Taëf?* Conférence prononcée à l'A.U.P., Strasbourg, fév. 1992.

(٤) السفير، ٣/٤/١٩٩٦.

الاضطرابات الإثنية القومية، من إسطنبول إلى أورشليم، ومن سارايفو إلى بيروت. يرجع الفضل إلى الكاتبَين في أنهما أتيا بدقة وبراعة بعض عِبَر التاريخ ولا سيما أنّ الانحطاط قد يخلفه ارتداد. فالتقلّص الذي تشهده المجتمعات المسيحية، منذ أن قُسم المشرق إلى أمم، قد لا يكون سوى كسوف.

الدكتور رولان طنب

١ - أزمة الفكر اللبنانيّ
في كتابة تاريخ لبنان وفي توثيقه
تأليف عادل إسماعيل
دار النشر للسياسة والتاريخ، بيروت، ١٩٩٧، ١٤٤ صفحة

٢ - عادل إسماعيل: المؤرّخ، الباحث، الدبلوماسيّ
مداولات حفلة التكريم والندوة العلمية التي أقيمت له في ٢٨ و٢٩ تشرين الثاني ١٩٩٦
دار النشر للسياسة والتاريخ، بيروت، ١٩٩٧، ٣١٢ صفحة

تبوّأ الدكتور عادل إسماعيل مناصب مهمّة في الحقلَين الدبلوماسيّ والجامعيّ، ولكنّ شهرته تعود خاصّة إلى أبحاثه التاريخيّة، ولا سيّما إلى ما قام به من نشر الوثائق الدبلوماسية والقنصلية لتاريخ لبنان والشرق الأدنى من القرن السابع عشر حتى اليوم (١٩٧٥)، وقد صدر عمله هذا في ٤٥ مجلّدًا بالفرنسيّة. والجدير بالذكر أنّ الدكتور عادل إسماعيل هو أوّل مسلم كرّس حياته العلميّة بجملتها لدرس «تاريخ لبنان» الذي كان قبله وقفًا على المسيحيّين والموارنة منهم خاصّة. إلاّ أنّ العمل الموسوعيّ الجبّار الذي قام به تُوبل بحملة عنيفة شنّها عليه بعض المؤرّخين الموارنة متّهمينه بأنّه تفرّد في نشر تلك الوثائق وكان الأجدر به أن يشرك في عمله مَن ليسوا من طائفته، كما أنّهم أخذوا عليه، في نشره وثائق أحداث ١٨٦٠، التحيّز للدروز وإهماله الوثائق التي هي لصالح الموارنة. لذا أصدر المؤرّخ كتابه أزمة الفكر اللبنانيّ ليردّ على منتقديه. وهذا المؤلّف هو في معظمه مقتبس من مذكّراته التي ما زالت مخطوطة، وقد قدّم له، مؤيّدًا، السفير الماروني نصري سلهب، وأنشأ خاتمته، مثبتًا، أخوه والمؤرّخ مثله الدكتور منير. وتقديم مرافعة إسماعيل على أنّه نال في مبادرته تأييد عدد من رؤساء الجمهورية اللبنانيّة وكبار الساسيّين والإداريّين المسيحيّين فيها. ولئن هو لم ينشر جميع الوثائق فلأنّ عددها يقارب نصف المليون ويتطلّب نشرها بضع مئات من المجلّدات ومثلها من السنين! وإن هو لم ينشر كلّ شيء عن الموارنة فاحترامًا منه لخصوصيّات الناس ولئلاّ تعلن على الملأ شؤون معيبة لا تقدّم ولا تؤخّر.

وقد جاء الكتاب الثاني عادل إسماعيل المؤرّخ، الباحث، الدبلوماسيّ، بترامنه والأوّل، دعمًا له (أطلب أزمة الفكر اللبنانيّ، ص ١١٨)، علمًا أنّ الهدف منه لم يكن أصلاً سوى تكريم الرجل. وتكمن قيمة هذا المصنّف في أنّه جمع، إلى الكلمات التي

قيلت في المحتفَى به، مداخلات قيّمة لعدد من الشخصيّات الثقافيّة العالميّة والمختصّين اللبنانيّين بتاريخ بلادهم، وجميع هذه وتلك تثني على طول باع صاحب العلاقة ونزاهته العلميّة وموضوعيّته.

والكتابان مزوّدان بفهارس مفيدة للأعلام والأماكن والمحتويات.

أ. كميل حشيمه

La Syrie
par Jean Chaudocet
Editions Karthala, Paris, 1997, 368 pages

سورية
تأليف جان شُودُوبه

ليس من السهل أن تكتب عن بلد بدقّة وموضوعيّة. فالدقّة لا تعني فقط صحّة المعلومات، بل تتعدّاها إلى الدخول في مطاوي الأحداث واستجلاء مسبّباتها ونتائجها. والموضوعيّة لا تكتفي بسرد الأمور سردًا جافًّا، بل تكتمل إذا ما رافقها تحليل متّزن متوازن لا يخلو من النظرة الإنسانيّة إلى القضايا. وقليلة هي المؤلّفات التي استطاع أصحابها أن يسلكوا فيها ذلك المسلك، خاصّة عندما نستعرض ما يثيره بعض المحقّقين المتسرّعين أو المؤرّخين المنحازين، فتأتي كتاباتهم إمّا مجتزأة أو مغلوطة في مضامينها، وإمّا غير منزّهة عن الأهواء فتميل إلى النقد الهدّام أو، على العكس، إلى الإطراء الأعمى.

كتاب جان شُودُوبه من المحاولات الرصينة، والرصينة جدًّا، فهي تتمتّع بجميع الصفات التي ذكرناها وهي، على الرغم من جدّيّتها، تقرأ بلذّة وارتياح، لحسن تأليفها أوّلًا، ولأنّها عالجت موضوعها بروح الاحترام لا بل الصداقة. والصداقة الحقّ، كما هو معروف، تفترض الصدق والتزام الحقيقة أوّلًا وآخرًا سواء في إظهار الإيجابيّات أو السلبيّات.

في ما يتعلّق بالمعلومات، يلفتك وفرتها وشمولها وكثرة مصادرها، ولا عجب إذ إنّ المؤلّف خرّيج معهد الدراسات السياسيّة الفرنسيّ وكان عضوًا في عدد من وفود بلاده لدى الأمم المتّحدة، وله معرفة مباشرة بسورية نتيجةً غير سفر قام به إلى هذا البلد والبلدان المجاورة. ويلفتك من جهةٍ التحاليل أنّ المؤلّف أجاد قراءة الحاضر في ضوء تطوّر التاريخ ومن خلال تلمّسه نفسيّة الشعب السوريّ بالذات. فوراء كلّ حدث يرويه، بدءًا من ماجريات أقدم الحقبات، ومن خلال مراجعة جميع نواحي الحياة في سورية، السياسيّة منها والاقتصاديّة والاجتماعيّة والدينيّة والفكريّة، تراه يرسم صورةً للشخصيّة السوريّة الحيّة في راقعها ومرتجاها.

أ. ك. حشيمه

يوسف السودا رمز العنفوان الوطنيّ

تأليف الدكتور جميل جبر

مطابع جوزيف د. الرعيدي، بيروت، ١٩٩٨(؟)، ٢٠٠ صفحة

يجيد الدكتور جميل جبر معالجة أهمّ الموضوعات بعمق واقتضاب معًا، وفي قالب من رشاقة الأسلوب والسرد، فنقرأ ما يكتبه بلذّة وتقرن المتعة بجليل الفائدة.

وكتاب الدكتور جبر في يوسف السودا يسترعي الانتباه لا لما يتّصف به من مزايا علميّة فقط، بل لأنّه يعالج سيرة وجل نذّ ويروي أعمال إنسانٍ وطنيّ كان واحدًا من مهندسي استقلال لبنان الذين خدموا القضيّة بعيدًا عن مواقع التجرميّة ولكن بفعّاليّة ومثابرة وإيمان يشهد لها التاريخ. وإنّه لجدير بالأجيال الصاعدة أن تتعرّف أمثال السودا، فتتعلّم منهم كيف يتمّ بناء الأوطان بالإخلاص والصدق وبعد النظر.

مهّد المؤلّف لدراسته بنظرة إلى عصر السودا ووقائعه السياسيّ العامّ، ثمّ إلى مسقط رأسه، بلدة بكفيّا، وما نهل فيها من تربية ومبادئ العلوم في مدرسة اليسوعيّين ومنها إلى مدرستهم الكبرى في بيروت، ثمّ توسّع في ما قام به السودا منذ أن نزل مصر وباشر هناك نضاله في سبيل استقلال لبنان، وبعد ذلك عاد إلى الوطن. وفي جميع تلك المراحل تجلّى نشاط الرجل متعدّد الوجوه، إذ عمل في المحاماة والأدب والصحافة وتنشئة الشباب ضمن المنظّمات الوطنيّة، ثمّ في النيابة والوزارة والدبلوماسيّة.

شخصيّة يوسف السودا تأسرك لأنّها تعكس صورة مشرّفة للبنان الحضاريّ، الساعي لبناء الإنسان الكامل، في عمق تركيز وانفتاح على المحيط القريب والعالم الواسع البعيد. ويا ليت الدكتور جبر يزيد على ما حقّقه مشكورًا، فينشر الرسائل التي تبادلها السودا وسائر الشخصيّات السياسيّة والفكريّة التي عرفها، ففي مثل تلك الوثائق شهادات حيّة تغني كثيرًا.

أ. كميل حشيمه

المجمع المسكونيّ الأوّل - نيقيا الأوّل (٣٢٥)

تأليف الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب

سلسلة «تاريخ المجامع المسكونيّة والكبرى»،

رقم ٢، توزيع المكتبة البولسيّة، بيروت ١٩٩٧، ٤٥٠ صفحة

حين نرى، في نظرة أولى خاطفة، أنّ فهرس الكتاب يتضمّن ١٦٢ عنوانًا، وأنّ عدد المراجع والمصادر يبلغ ١٩٦، فضلًا عن وجود حواشٍ كثيرة وطويلة، وأنّ وثائق المجمع تتقدّمها لائحة أسماء الآباء الـ ٢٣٩ الذين شاركوا فيه مع أسماء المناطق الأربعين التي أتوا منها، لا نستغرب ما ورد في «التقديم»: «إنّ السِّفْر الذي خفنا غماره، داخل تجاويف التاريخ الكنسيّ والمجمع النيقاويّ الأوّل، لم يكن سوى صورة طبق الأصل للعديد من «المشاوير» التي يجتازها الإنسان يوميًّا في الحياة... كانت طرق سفرنا في أعماق تاريخ هذا المجمع مليئة بالتعرّجات، ملتوية، صاعدة، نازلة... وكانت رحلتنا أحيانًا شاقّة،

ولكنّها شيّقة، وأحيانًا مضنية، ولكنّها مليئة بالتعزيات... فهي ظلّت دومًا، بالنسبة إلينا، رحلة سياحيّة، أو رحلة استكشاف تمرّ في جوف التاريخ الممزوج باللاهوت. نكلّما اكتشفنا واقعة أو مشهدًا أو مكانًا أو شخصيّة، كنّا نراقبها ونرصدها ونصوّرها، ونأخذ المعلومات الكاملة عنها. وبعد أن نكون قد محّصناها وتفحّصناها بدقّة، ننتقل إلى مرحلة أخرى، وهكذا دواليك...

«أخيرًا، وبعد أن غصنا وغطسنا في أعماق التاريخ، استطعنا أن نخرج إلى الهواء الطلق، وأن نحصد ونقطف ثمار ما كنّا قد زرعنا، بعدما قمنا تقريبًا بكلّ ما يلزم، ملتزمين في المطلق متطلّبات البحث الدقيق، لنقدّم هذا الكتاب الذي يرسم صورة كافية وافية عن الجوّ العامّ، أي الإطار السياسيّ والدينيّ والاجتماعيّ، لما قبل المجمع وبعده، وعرض أحداث جلساته وجدول أعماله، وكلّ ما جرى بين الآباء، والقراءات والنتائج التي صدرت عن هذا المجمع المسكونيّ الأوّل، الهامّ جدًّا في تاريخ الكنيسة، وفي تاريخ المجامع ككلّ. وكلّ ذلك كي يتسنّى للقارئ أن يغوص في هذه الأجواء الملبّدة، ويفهم، ولو فكريًّا، المناخ الذي أحاط بالمجمع وهيمن على عقليّة الأشخاص الذين حاضروه، والذين سيّروا دفّة القيادة فيه، وأولئك الذين عايشوا نتائجه».

من الأمثلة على الاهتمام الشديد بتقصّي الأمور وعدم إهمال أيّ عنصر من العناصر التي تفسّر الأسباب التي دعت إلى عقد المجمع النيقاويّ وتشرح ردود الفعل التي أحدثه مدّة سنين طويلة، كثرةُ المواضيع التي خاضها المؤلّفان قبل الكلام على المجمع (الأيونيّة ومركيون وفيلون الإسكندريّ وأفلوطين والأفلاطونيّة الحديثة والغنوصيّة والمظهرانيّة والمرنارخيّة والتبنويّة وصابيليوس والشكلانيّة... وأوجه التباين بين آريوس والكسندروس ومجمع الإسكندريّة ومجمع نيقوميديا...)، وبعد انعقاده (مجمع أنطاكية وملاحقة أثناسيوس وعودة آريوس ومجمع صور ومجمع القسطنطينيّة ومجمع أورشليم... والصراعات حول نيقيا وعودة أثناسيوس من المنفى ومجمع الإسكندريّة... والهدنة بين النيقاويّين وغير النيقاويّين... والتيّارات والشخصيّات المتنازعة إلخ).

لنا ملاحظة واحدة، فقد بدا لنا أنّ كتابة بعض الأسماء بالعربيّة (من أسماء شخصيّات وأماكن ومذاهب فكريّة) ليست موفّقة. فلماذا، على سبيل المثال، يُكتب لوكيانوس، باستعمال الكاف (بدلًا من القاف كما في لوقا) وإضافة الواو (مع أنّنا نكتب: بولس وبطرس وكيرلّس إلخ)؟

نختم هذا التعريف الوجيز بالتمنّي أن يلقى هذا الكتاب كامل النجاح الذي تستحقّه تلك الجهود الجبّارة التي بُذلت مدّة سنوات طويلة في خدمة العلم والتفكير اللاهوتيّ.

أ. صبحي حمويّ

Antioche entre Rome, Byzance et la Mecque
par Joseph Hajjar
3 tomes, Editions Dar al-Mourad, Beyrouth, 1998

أنطاكية بين روما وبيزنطية ومكّة
تأليف جوزف حجّار

حسنًا فعلت دار المراد الناشئة، لكن الواعدة، إذ جمعت العشرات من مقالات الأب جوزف حجّار التاريخيّة ونشرتها في ثلاثة أجزاء، بحيث أن يكون كلّ جزء من هذه الأجزاء الثلاثة مخصّصًا بموضوع معيّن من المواضيع الكثيرة التي خاضها المؤرّخ حجّار في مختلف المجلّات والمنشورات العلميّة وغيرها. وهذه المجلّات غالبًا ما يكون عدد قرّائها محدودًا وغالبًا أيضًا ما تكون صعبة المنال. أمّا مراجعتنا هذه المجلّدات في تاريخ المسيحيّة وقضاياها في منظور جوزف حجّار، فنوجزها في الملاحظات التالية:

أوّلًا: يقول المؤلّف في تصديره هذه الكتابات القصيرة Opera minora إنّ الدوافع لنشرها ترتبط بنهاية هذا القرن الذي اتّسم بالدعوة إلى المسكونيّة وقد كرّستها الكنيسة الرومانيّة والكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة في أثناء المجمع الفاتيكانيّ الثاني وبعده. ثاني هذه الدوافع هو وضعيّة أنطاكية المسيحيّة التي ما تزال المحور والمركز بالنسبة إلى الكثير من الكنائس وثقافاتها اللاهوتيّة والليتورجيّة. وثالث الدوافع أنّ المادّة التأريخيّة كُتبت بعد أربعين سنة من حياة كرّسها الأب حجّار للالتزام العلميّ البحثيّ والمنهجيّ، ولا شكّ أنّ لائحة أعماله طويلة، وكلّها تصبّ في خانة الكشف عن أصالة المسيحيّة الشرقيّة الأنطاكيّة في ارتباطها بقضايا شعوبها وكنائسها.

ثانيًا: إنّ الجزء الأوّل من المجموعة يتناول موضوع العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة من بابها الواسع عبر أكثر من عشر مقالات في الكتاب المقدّس، والشهادة المسيحيّة في أرض الإسلام، وفي موقف المسيحيّين من الوظيفة الرسميّة في قرون الفتح الإسلاميّ الأولى، وكذلك في تأثير المجتمع الإسلاميّ في الحقّ القانونيّ الكنسيّ بالشرق العربيّ. وهذه المواضيع وغيرها، في إطار العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة، لا تعطي فكرةً واضحة عن موقف حجّار من القضايا التي تطرحها هذه العلاقات إلاّ بوجه عابر.

وإلى جانب عددٍ من شؤون تاريخ الكنيسة البيزنطيّة، فإنّ بعض مقالات هذا الجزء تتناول موضوع وجود المرسلين اللاتين في الشرق، وهذا الوجود يقود إلى الحديث عن دورهم الذي يلخّصه حجّار باللّيتنة، وخصوصًا أنّ إرشادات الكرسيّ الرومانيّ شدّدت في القرن التاسع عشر على استعادة الوحدة المفقودة والحفاظ على التراث الحضاريّ الثقافيّ اللاهوتيّ والروحيّ الخاصّ بكنائس الشرق.

ثالثًا: الجزء الثاني (٣٩٠ صفحة) يتناول موضوع أبعاد المجمع الفاتيكانيّ الثاني على المستوى الكاثوليكيّ الشرقيّ والمسيحيّ عامّة، وتأثير الفكر المجمعيّ في العلاقات بين الكنائس وفي وضعيّة الإيمان المسيحيّ بوجه عامّ أمام تحدّيات النصف الثاني من القرن

العشرين. ومن المقالات المنشورة في هذا الجزء: الكنائس الاتّحاديّة في الشرق الأوسط أمام المجمع، الكنيسة والكنائس في الشرق الأوسط (١٨٤٦-١٩٦٥)، المجمعيّة الأسقفيّة في التقليد الشرقيّ، أزمة إيمان أم أزمة كنيسة؟ إستقالة المطران غريغوار حدّاد متروبوليت الروم الكاثوليك في بيروت، كنائس الشرق الأدنى في المجمع الفاتيكانيّ الثاني: نظرة تاريخيّة (١٩٥٨-١٩٧٨). أمّا الجزء الثالث من هذه المجموعة فهو يتناول الكثير من الوجوه الكنسيّة التاريخيّة. وهذه المقالات منشورة في معجم التاريخ والجغرافيا الكنسيّ بطلب من الأب أوبير. وهذه الوجوه لها قيمتها بقدر ما أعطت الكنيسة وكانت عنصرًا مهمًّا من تاريخها، انطلاقًا من البطريرك إغناطيوس الثاني الملكيّ حتّى جرمانس معقّد، مؤسّس المرسلين البولسيّين، وغيرهما من وجالات الكنيسة.

رابعًا: مع إصدار هذه المجموعة من المقالات التي يرتّدها الاهتمام بتاريخ الكنيسة الشرقيّة والتشديد على أصالتها ومعاناتها في محيطها، تكون المكتبة التاريخيّة العربيّة قد اغتنت بمرجع أساسيّ حتّى لو كان باللغة الفرنسيّة. أمّا ما كنّا نتمنّاه ولم نجده فهو فهرس بالأعلام، وهو ضروريّ لهذه الموسوعة، وكذلك فهرس بالأماكن والمواضيع والمعاني الأساسيّة، بالإضافة إلى مسرد عامّ لعناوين الكتب والموسوعات إلخ...

وما كنّا نتمنّاه أيضًا هو أن تكون صفحات هذه المجموعة النيّمة خاليةً من الأغلاط. إلاّ أنّ العكس هو ما حصل، إذ إنّ أخطاء كثيرة قد وقعت على مستوى الأعلام وكذلك في التعابير والتراكيب الفرنسيّة... وهنا بعض الأمثلة في المجلّد الأوّل، ص ٢٨٦: Melchior de Vogué والصحيح Vogüé؛ ص ٢٤٩: St Leon، والصحيح Léon؛ ص ٢٠٠: Theophane والصحيح Théophane؛ وفي الصفحة ٢٢٥: S. Vailhe والصحيح Vailhé؛ وفي الصفحة ٣١٠: références والصحيح références؛ وفي الصفحة ٣١٥: Le rit liturgique والأفضل Le rite liturgique؛ وفي ١٩٥: ecclesiastique والأفضل ecclésiastique. وفي المجلّد الثاني ص ١٠١: Flèche et Martin والصحيح Fliche؛ رص ٧: Meyendorg والصحيح Meyendorf؛ وكذلك في الصفحة ٢٦٤: Ch. de Foucault والصحيح Foucauld.

ومع ذلك فإنّنا نرحّب كلّ الترحيب بهذه الدراسات والأبحاث التي لها مكانتها ومكانتها في إطار المكتبة التاريخيّة الكنسيّة. ألم توضع تحت عنوان أنطاكية، وهي المدينة الرمز والرجهة؟

أ. سليم دكّاش

الذكرى المئويّة الثالثة لتكريس كنيسة دير مار أنطونيوس قزحيّا
على يد رجل الله البطريرك العلاّمة إسطفان الدويهي (١٦٩٧-١٩٩٧)
مؤسّسة جوزيف د. الرحيلي للطباعة، بيروت، ١٩٩٨، ٤٠ صفحة

لا ذكر لمعدّ هذا الكتيّب، ولعلّه صادر عن لجنة متابعة دعوى تطويب البطريرك

الدويهيّ. والكرّاس هذا هو بقياس كبير، طُبع على ورق صقيل جميل ومزدان بالصور الفوتوغرافيّة الملوّنة الرائعة. والنصّ يُبرز باختصار مكثّف سيرة البطريرك القدّيس (١٦٣٠-١٧٠٤) ونشاطه الرعويّ مع ذكر الكنائس التي بناها أو كرّسها، كما يقدّم لائحة بمؤلّفات الدويهيّ العلاّمة، وهي كثيرة توزّعت بين تاريخيّة ودفاعيّة وطقسيّة، إلى بعض المواعظ وسير القدّيسين وكتب فلسفيّة ولاهوتيّة مختلفة. وفي الكرّاس صفحات خصّصت بدير تزحيّا وبعلاقة الدويهيّ بتأسيس الرهبانيّة المارونيّة. وفي قسم أخير رَسَم الأب يوحنّا الخوند، الراهب اللبنانيّ، حياة البطريرك في ثلاث لوحات بالشعر العاميّ تُنشَر على الألحان السريانيّة الطقسيّة، ولعلّ هذا الجزء من الكتاب لا يروق الكثيرين الذين يرون أنّ اللغة الفصحى هي الأنسب للإنشاد الطقسيّ لا سيّما أنّ قراءة العاميّة غير سهلة وفهمها عسير على مَن لا ينطق باللهجة اللبنانيّة.

مهما يكن، فالكتيّب، على صغر حجمه، يرسم للدويهيّ صورة رائعة ويدعو إلى الاقتداء بعمله وفضائله، والأمل معقود على أن يمجّد الله خادمَه البطريرك الأمين فترفعه الكنيسة قريبًا إلى مصافّ القدّيسين.

أ. ك. ح.

ما هو العِلم؟

تأليف ألان ف. شالمرز

نقله إلى العربيّة لطيفة دبّ عرنوق

سلسلة «دراسات فكريّة»، ٣٤، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٧، ٢٣٢ ص

كلمة «عِلم» لها في أيّامنا وقع سحريّ، وإذا ما قيل عن أمر إنّه علميّ بات وكأنّه حقيقة منزّلة، لأنّ ما هو علميّ يعتبَر مثبتًا لا يقبل النقاش ولا يرقى إليه الشكّ. ولكن، هل هذا صحيح فعلاً؟ فالتطوّرات الحديثة في فلسفة العلوم أظهرت الصعوبات البالغة التي تدفع عددًا كبيرًا من المفكّرين إلى القول بأنّه لا يمكن الجزم بوجود استدلالات تتيح لنا استخلاص النظريّات العلميّة بكلّ طمأنينة وثقة.

إنطلاقًا من هذه الملاحظة يستعرض المؤلّف أجوبة أربعة من فلاسفة العلم المعاصرين عن تلك المشكلة، هم بُوپّر (Popper) وتُوهْن (Kuhn) ولاكاتُوس (Lakatos) وفِيرابند (Feyerabend)، ويقابل بعضها ببعض، ويناقشها ويُظهر حدود كلّ منها، ويصل إلى الاعتراف بأنّنا، أمام هذه المسألة، «ننطلق من درجة معيّنة من الغموض لنبلغ درجة أخرى من الغموض أرفع مستوى» (ص ٩)! إلاّ أنّ المحاولة التي يقوم بها الكتاب ليست بدون جدوى، فالمناقشة التي يُطلقها تساهم في تكوين الذهنيّة النقديّة لدى القارئ، وما أحوج طلاّب العلم إلى مثل تلك الملكة!

ما زالت وزارة الثقافة السوريّة توفّر لقرّاء الضاد، عن طريق الترجمة، خيرة المؤلّفات الفكريّة، وهي في ذلك تُشكَر، كما تُشكَر السيّدة الناقلة لما بذلته من جهود أثمرت، لا

سيّما أنّ لها في مجال ترجمة الكتب القيّمة أكثر من محاولة. إلاّ أنّنا نأسف لكثرة ما ورد في العمل الأخير هذا من اضطراب في نقل الأعلام والمفردات الأجنبيّة. فعلى سبيل المثال، لا الحصر، نُقل اسم فرنسيس باكون مرّتين على الوجه التالي: فرانسي باكون، وبالأجنبيّة F. bacon (ص ٨ و١١) من دون استعمال الحرف المكبّر (majuscule) في بداية اسم العلم. وحصل مثل ذلك في كتابة اسم Joseph black (ص ٤٨) وTycho brahé (ص ١٠٨). وكُتب Michael على نحو مغلوط: Micheal (ص ١٣٢). أمّا في ما يتعلّق باسم المفكّر Feyerabend فحدّث ولا حرج، إذ كتب بالأجنبيّة بعدّة صِيَغ: Feyerabend (وهو الصحيح)، وFeyerabend، وFeyrabend، وبالعربيّة فيرابند وفيرباند.

ولا ندري لماذا لم توحَّد طريقة نقل أسماء الأجرام السماويّة. فقد ذُكر، إلى جانب «عطارد» و«المرّيخ»، الكوكب «فينوس» (ص ١٠٣) علمًا أنّ اسم هذا الجرم بالعربيّة هو «الزهرة».

مهما يكن، وعلى الرغم من هذه الشوائب التي قد تكون في معظمها طباعيّة، يبقى نقل كتاب شالمرز إلى العربيّة عمليّةً موفّقة جليلة الفائدة.

ك. ح.

مؤلّفات أنطون قازان

المجموعة الكاملة

دار المراد، بيروت، ١٩٩٨، ٦ مجلّدات، ١٢٣٦ صفحة

ما زالت دار المراد تتحفنا، حينًا بعد حين، بمجموعات تضمّ مؤلّفات كبار الكتّاب الكاملة. ففي العام الماضي قدّمت لقرّائها مجموعة ما كتبه يوسف غصوب مصحوبة بمقدّمات دبّجها مشاهير الأدباء، وقد قالت المشرق في ذلك العمل كلمتها (المجلّد الأوّل من السنة الجارية ١٩٩٨، ص ٢٧٢-٢٧٤). واليوم وضعت بين أيدي المثقّفين مؤلّفات أنطون قازان مكتملة، سعى في جمعها وترتيبها مشكورًا ابن أخيه المحامي شوقي رزق الله قازان، وقد جاءت في حلّة بهيّة تليق بصاحبها. مبوَّبة تبويبًا يراعي الموضوعات. فالمجلّدات الثلاثة الأولى خصّصت بالأدب والأدباء، والرابع أفرد للشعر، والخامس للأبحاث القانونيّة، في حين احتوى الجزء السادس والأخير على ما قيل في الرجل. وتجدر الإشارة إلى أنّ كلًّا من المجلّدات الستّة صُدِّر بمقدّمة أو أكثر صاغتها أقلام مشاهير من عظماء الدين والدنيا والأدب، أجمعت بدون استثناء على الإشادة بما لقازان من أنضال. فكانت مداخلات لرئيس الجمهوريّة الأسبق شارل حلو، وللخوري يوسف عون، والوزير فؤاد بطرس، والأدباء جورج غريّب، وسعيد عقل، وإميل كبا، وفؤاد زُرقي، وشرقي قازان، وكلّ منها كان بدوره تحفة من تحف الأدب أسلوبًا ومضمونًا.

بعد ربع قرن على غياب أنطون قازان (في آذار ١٩٧٣)، جاءت مجموعة كتاباته تسلّط عليه نورًا يستحقّه، فلطالما كان هو نورًا تألّق، وكم يجدر أن يهتدي به اليوم كثيرون، لا

سيّما بين أدباتنا الناشئين. فقد توفّرت عند قازان صفات قلّما وُجدت مجتمعةً عند سواه، إذ كان أديبًا لبقًا يغوص في أعماق النفس يحلّل، وفي مطاوي المؤلّفات ينقد ويدرس، وخطيبًا مفوّهًا قويّ الحجّة، وشاعرًا مجنّحًا رقيقًا، وقانونيًّا عالمًا جهبذًا دأبه الحقّ والإنسان. لكأنّه الجنّ في مهارته، كيفما باشرته يرنّ. في تاج أنطون قازان كما في شخصه، تعانقَ العلم والأدب والفضيلة بنت الإيمان، ثالوث مقدّس به تُبنى الأوطان.

أ. كميل حشيمه

السعادة امرأة!
تأليف يوحنّا قمير
دار نوفل، بيروت، ١٩٩٨، ٢٢٠ صفحة

وما السعادةُ في الدنيا سوى شبحٍ يُرجى، فإن صار جسمًا ملّه البشرُ...
(المواكب - جبران خليل جبران)

إنْ أنتَ قرأتَ كتاب يوحنّا قمير - مع حفظ الألقاب - استوقفتكَ عبارتان: الأولى السعادة امرأة! البارزة على غلاف المؤلّف، والثانية في الصفحة الأخيرة منه (٢١٥)، لا: ليست السعادة امرأة! وبين الأولى والأخيرة مئتان وعشر صفحات (٢١٠) من القطع الوسط، عَرَض فيها يوحنّا قمير الأفكارَ فأوجز ولخّص، ومن ثمّ ناقش وحلّل فإذا به أيضًا يستخلص ويستنتج. ولَعَمْري، فهو، في هذا وذاك، أجادَ وأدْهَش.

إنّ الكتاب خلاصة آراء باحثين تصدّوا لموضوع السعادة والشقاء. بعضهم شرقيّون أسيويّون: الهندوسيّون، بوذا، زينون الصوريّ، المعرّي، الخيّام، وابن سينا. وبعضهم الآخر أوروبيّ غربيّ: أرسطو، أبيقورس، ليتز، شوبنهور، نيتشه، آلان، وكامو. لقد راعى الكاتب بعرضه اختلافَ الأزمنة التي عاش فيها الفلاسفة والمفكّرون، فابتدأ بأعلام الحضارات القديمة - ما قبل الميلاد - (الهندية واليونانيّة والرومانيّة)، متنقّلًا إلى أعلام الحضارة العربيّة، وصولًا إلى مفكّري عصر النهضة والحداثة. فكان بذلك بنحو منحًى علميًّا تاريخيًّا في تسليط الضوء على مذاهب الفلاسفة والباحثين، وآرائهم في السعادة والشقاء عبر مختلف العصور.

ولئن تباينت، وتباعدت أحيانًا، آراء الفلاسفة في السعادة (لقاء الله - دور الإنسان في سعادته الذاتيّة - الصبر والجمال والحظّ والصحّة... - اللذّة والدنيويّات - دور طبيعة العالم والطبيعة الشخصيّة - الزهد والعزلة - امرأة وخمرة وموسيقى - الإيمان بالله الخالق - غياب الألم والضجر - التفوّق والسيادة - العمل الحرّ الصعب - التمرّد والتمتّع بالمعاردة)، فإنّ ثمّة أربعًا يعتبرها يوحنّا قمير أخطر ما تقدَّم، وعليها يُجري بحثه الخاصّ:

١ - دور الله في سعادة دنيانا وشقائها؛ ٢ - دور المرأة فيهما؛ ٣ - دور المال؛ ٤ - دور رفيقاتنا.

وإذا كان لأعلام الكتاب رأيهم في الموضوع، فإنّ للمؤلّف رأيه الخاصّ أيضًا من خلال المحاور الأربعة هذه. لقد أعمل المؤلّف الفكرّ في شرح دور كلّ محور على حدة، عند الباحثين والفلاسفة كافّة، فعرض وناقش وحلّل ولم يتورّع في استخلاص العِبَر واستنباط النتائج. فكأنّي به يعرض لأعلام كتابه في مئة وثمانين صفحة، ويعرض لفكره في الخمس والثلاثين صفحة الأخيرة المتبقّية، وذلك من خلال آراء مَن تقدّم.

وعلى طريقة البحث في المسائل العلميّة، ختم بوحنّا قمير مؤلّفه بفصل مستقلّ عنوَنَه مقدّمات ونتائج. عرض فيه النقاط الثابتة التي يقرّها العقل والمنطق ويعرفها الواقع، أيّ واقع إنسانيّ، فاعتبرها مقدّمات أساسيّة ومعطيات بديهيّة، لا مفرّ منها لفهم موضوع السعادة والشقاء. ثمّ ألحق بها عدّة أمور، كرّنت عنده نتائج البحث، وبيت القصيد. وقد لا نغالي إن قلنا إنّ نتائجه هي زبدة الكتاب ودرّته الثمينة. فهي إرشادات قمير في الموضوع، ووصاياه لطالبيها.

ولا بدّ لنا في هذه العجالة من أن نسوق ملاحظةً ذا شقّين، تتعرّض لشكل البحث لا لمضمونه:

أوّلًا: كان من الأنسب ذكر (ق.م.)، إلى جانب تواريخ ولادة الفلاسفة والمفكّرين ووفاتهم، الذين عاشوا في فترة ما قبل الميلاد. سيّما وأنّ المؤلّف عرض أعلامًا من الحقبتَين الميلاديّة، وما قبلها.

ثانيًا: كم كان كاملًا - والكمال لله وحدَه - لو ضبط ناشر الكتاب أو مصحّحه لغة البحث ضبطًا علميًّا تامًّا، فراعى وضع همزات القطع والوصل دائمًا، لا أحيانًا، وكذلك الشدّات فوق الحروف، والحركات التي تزيل اللَّبْس، ولا سيّما في الشعر (والأمثلة على ذلك وفيرة). فهي، لَعَمري، عمليّة تليق بكتاب جَلل، بَرَع صاحبه في اللغة براعته في الفلسفة والفكر، فألّف في علومها وأصاب.

بأسلوب لغويّ رشيق، وبجملةٍ عربيّة منتضبة مشذّبة، يصل بوحنّا قمير إلى فكرك بلا مشقّة أو عناء. واضحٌ، مختصِرٌ، فنّان، معبّرٌ ومُقْنِع. تستلذّ القراءة معه، وإنْ لم تكن من عشّاقها. وكيف بك، إن أنت في حضرة السعادة وأسبابها، والشقاء وبواعثه!

كتاب بديعٌ طريفٌ، ذو معانٍ وعِبَر، لن يعرفَ أهمّيّته إلّا مَن يغوصُ على معانيه.

ريمون حرفوش

ليالي المهجر وقصيدة العودة

تأليف أنطوان عون

الدامور (لبنان)، ١٩٩٥، ١٤٤ صفحة

هذا ديوان تقول وأنت تطالعه بارتياح: الشعر الأصيل لم يمُت، والحمدلله! ففي زمننا «الرديء» حيث كثر المتطفّلون على الشعر، والشعر منهم ومن إنتاجهم وادّعاءاتهم براء،

يعيدنا أنطوان عون بقصائده من هجرة دَمس ليلها إلى ضوء نهار يسطع فيه الشعر كما عوّدنا عليه الكبار من أمثال سعيد عقل والأخطل الصغير وشوقي ومطران. تُنشِد لهذا الشاعر فتطرب لإيقاع مرصوص، ولفظ مسبوك منحوت، وقوافٍ أنيقة متقاة، وخيال مجنّح، وعواطف مرهفة تهزّك فتهذُّ لتعابيرها وتأخذك شجون وتعيدك شؤون، وتتقل بين ألم يصحبه تمزّق، وفرح يرافقه رجاء. وتستمع إلى أنّات الحنين وتطمئنّ إلى الإخلاص للوطن، حجرًا وبشرًا، والوفاء لمسقط الرأس، الدامور الشهيدة، مع استرخاء في حضن الطبيعة الوسيع الرديع. ولئن طلبتَ الجرْسَ والموسيقى وألحانها، توفّرت جميعُها على مسمعيك بعذوبة تناسب مع فكر تيّر واضح وعبارات سهلة المنال في جمال. لقد صدق صاحب بيت يفتاح لمّا قال في أنطوان عون: «أقرأه فيما أنا أقرأ غوته نفسه، ولا أنحرّم. أمام كليهما (...) أتوقّف التوقّف الواحد لأوخذ بإرادتيهما تنزيل الحُسن في الهنيهة وكأنّه الذهب في غرار السيف» (ص ١٣٣). ولو سئلتُ أنا «ما هي القصائد التي أعجبتك في ديوان ليالي المهجر» لقلت بلا تردّد: جميعها. والتجربة هي لمَن يشكّ خير برهان، ويلفت الانتباه كثرة ما لحُنَّ من تلك القصائد كبارُ الملحّنين وأنشده نخبة المغنّين. فمن هؤلاء وأولئك: وديع الصافي وخالد أبو النصر وحسن غندور وإحسان صادق وتوفيق الباشا وحليم الرومي وأنطوان زايبك ورفيق حيقة وهيام يونس وسعاد محمّد وفدوى عيد. فلأنطوان عون، ابن الدامور منبت الأدباء والصحافيّين والشعراء، شكرنا لأنّه أثبت لنا أنّ الشعر الصحيح العريق ما زال حيًّا في ديارنا.

أ. كميل حشيمه

وأنتَ يا عزيزي...؟

قصص قصيرة من كورنيش العذوبة

تأليف سامي منير حلّاق

الرسوم الداخليّة: الياس النمّع ولينا بوغوصيان

دار التوحيدي، حمص، ١٩٩٨، ١٣٢ صفحة

في أوائل التسعينات، أصدر الأب سامي حلّاق اليسوعيّ مجموعة قصصيّة عنونها «قال الراوي...». ولقد لاقت نجاحًا شجّعه على تكرار المحاولة وإصدار مجموعة ثانية من القصص القصيرة الحكميّة.

ولمّا أُخذ على كتابه الأوّل صعوبة فهم بعض قصصه وغموض مغزاها، مع أنّ الإنسان «يفهم القصّة من خبرته الشخصيّة»، فقد رضي أن يعمل بنصيحة القارئ ويدوّن التساؤلات التي رآها مناسبة، شرط أن يبقى هذا القارئ حرًّا ويفهم القصّة كما يحلو له.

يضيف حلّاق: «لم تُكتب هذه القصص تباعًا بهدف تأليف كتاب، بل تمّت صياغتها في ظروف مختلفة. لذلك تباينت أساليب سردها: فمنها مرويّ بضمير الغائب، ومنها في صيغة المخاطب، ومنها بلسان المتكلّم، بعضها يروي حكاية، وبعضها الآخر يشبه الموعظة. أمّا

الحكايات، فترجّح بين الواقعيّة والرمزيّة».

يعيش الأب سامي حلّاق حاليًا في مدينة حمص، في حيّ العدويّة التابع لمنطقة الزهرة، الذي يقطنه أناس من مختلف الأصول المدنيّة والمذاهب الدينيّة، وهو أكثر أحياء المنطقة اكتظاظًا بالمارّة، فكان له هذا الحيّ مصدر إلهام، إذ إنّ أذنيه الصاغيتين سمعتا «همساتٍ تروي قصصًا كثيرة». فإنّ كلّ شيء يتكلّم: العيون والوجوه والثياب والأيدي والنظرات.

وإن أضفنا أنّ كاتبنا يمتاز بقلمه الكثير الألوان وإنشائه الرشيق، نكون قد أقنعنا القارئ بمطالعة هذه المجموعة القصصيّة، شرط أن يعمل بنصيحة الكاتب، فلا يقرأها دفعة واحدة، بل واحدة واحدة، ويتأمّلها، «لتفتح له بابًا من أبوابها، وتكشف له عن سرّ من أسرارها».

أ. صبحي حمويّ

من منشورات دار ماردين، حلب
في العامين ١٩٩٧ و١٩٩٨

إنطلقت دار ماردين منذ نحو خمس عشرة سنة وسرعان ما احتلّت مكانةً مميّزة بين الدور الفاعلة، يُذكي شعلتها سيادة المتروبوليت غريغوريوس يوحنّا إبراهيم مطران حلب على السريان الأرثوذكس، وقد اختصّت بنشر ما يمتّ بصلة إلى التراث السريانيّ العريق والمسائل الرديفة. ومن صادرات العامين المنصرمين التي بين يدينا الآن، ما يقارب عشر كتب هي الآتية:

في سلسلة «دراسات سريانيّة»، الأعداد ٢ و٣ و٤:

– (عدد ٢) – طاقات سريانيّة، لغويًّا، تكريًّا، تقولًا، تأليف المطران سويريوس إسحق ساكا، ١٩٩٧، ١٧٢ ص. وهو مرجع جليل الفائدة، على اختصاره، لمَن يعني البحث في التراث السريانيّ.

– (عدد ٣) – المراكز الثقافيّة السريانيّة، بقلم المطران غريغوريوس يوحنّا إبراهيم، ١٩٩٧، ١٦٠ ص بالعربيّة و٧٣ بالإيطاليّة. جُمِع فيه المؤلِّف بعض محاضراته ومقالاته ممّا نُشر سابقًا في المجلّة البطريركيّة (دمشق) أو لم ينشر. أمّا الصفحات بالإيطاليّة فقد ظهرت قبلًا في مجلّة *Orientalia Christiana Periodica* الصادرة في روما عن الجامعة الغريغوريّة.

– (عدد ٤) – السريان أصالة وجذور، أو نهج ومسير في تاريخ الأمّة السريانيّة القويم، تأليف المطران غريغوريوس جرجس شاهين، إعداد وتقديم المطران غ. ي. إبراهيم، ١٩٩٧، ٢٥٠ ص. يلفت النظر في هذا الكتاب مقدّمة الناشر، بها يأسف على ما صدر عن بعض الهيئات المسيحيّة ممّا يعكّر صفو العلاقات المسكونيّة، ولئلّا يجابه المواقف المغلوطة بمثلها، ومعروف عن سيادته أنّه يتمتّع بروح مسكونيّة عالية، يرى من المفيد إعادة نشر كتاب المطران شاهين، رئيس أساقفة حمص وحماه وتدمر على السريان الكاثوليك،

وقد صدر قبلًا في العام ١٩١١ وفيه «حقائق تاريخيّة يمكن الاستناد إليها والاعتماد عليها» (ص ٢) «ولهذا السبب»، يقول الناشر، «أردنا أن نطلق على الكتاب اسمًا جديدًا وهو السريان أصالة وجذور» (ص ٢-٣). نقول تعليقًا: هل يجوز لمؤلّف أن يطلق عنوانًا جديدًا على كتاب أصدره سواه منذ نحو ٧٥ سنة؟ علمًا أنّ العنوان الأصليّ: نهج وسبم في تاريخ الأمّة السريانيّة القويم يحكي بما فيه الكفاية أصالة السريان وجذورهم. سؤال نطرحه على نفسنا وعلى سيادة الناشر الجليل.

إصدارات متفرّقة:

– مؤلّفات توما الخوري الكاملة: ما لله وما لقيصر، الكتاب الأوّل، ١٩٩٧، ٣٧٠ ص. اشتهر صاحب هذه المؤلّفات أكثر ما اشتهر بكتاباته المسرحيّة والقصصيّة، ولكنّه تناول أيضًا مختلف مجالات الثقافة فكتب في اللغة والنقد والدين وله خطب ومحاضرات في غير باب. والكتاب الأوّل هذا من مجموعة مؤلّفاته يحوي عددًا من المقالات والمحاضرات والخطب التي تنمّ على طول باع صاحبها في كثير من الأمور. إلاّ أنّنا أسفنا ضعف إخراج هذه الكتابات من علّة نواح. فلقد رُتّبت النصوص ترتيبًا غير منطقيّ في أغلب الأحيان، إذ تتداخل المقالات التي تعالج موضوعات مختلفة ويا ليتها جمعت إلى مثيلاتها في أبواب واحدة. وبعض هذه الكتابات لم يكن مؤرّخًا ويا ليت الناشر حدّد زمن صدورها الأوّل لمزيد من الإحاطة بسياق الموضوع وملابساته. كما أنّ الاستشهادات باللغات الأجنبيّة مليئة بعشرات الأغلاط الطباعيّة، وهذا أمر يمكن معالجته ولا بدّ من معالجته في منشوراتنا العربيّة. وإهمال هذه الناحية لا يضرّ بمستوى كتاباتنا العلميّ وحسب، بل كثيرًا ما يشوّه المعنى فيصعب على القارئ فهم المراد. من ذلك غلطان قبيحان وردا في الصفحة ٥١ ضمن الاستشهاد ببيتين من شكسبير:

Robs me of that which not *euriches* him
And makes me poor *indeed*.

والكلمتان المبرزتان هنا حُوّرتا ولا معنى لهما وصحيحهما: enriches (أي: يُغني) وindeed (أي: حقيقةً). وسائر الكتب التي استعرضناها في هذه النبذة والتي سنستعرضها تشكو العلّة نفسها، وأملنا كبير أنّ سيادة الناشر سيولي الأمر ما يستوجبه من عناية.

– الحوار اللاهوتيّ، ترجمة مارسيل خوري طراقجي، ١٩٩٧، ٣٩٦ ص. وهو كتاب قيّم جدّ مفيد يضمّ «بحوث ووقائع» المداولة المسكونيّة غير الرسميّة بين لاهوتيّين من الكنائس الأرثوذكسيّة الشرقيّة والكنيسة الكاثوليكيّة الرومانيّة التي جرت في ڤيينّا بتاريخ ٧-١٢ أيلول ١٩٧١. والنصوص منقولة عن الطبعة الإنكليزيّة التي أصدرتها مجلّة *Wort und Wahrheit* (في العام؟)، وهي مرجع أصيل للباحثين في شؤون الحركة المسكونيّة عامّة ودارسي علم لاهوت المسيح خاصّةً.

– المداولات الخمس لمؤسّسة بُرّ أوريِشْي مع الكنائس الأرثوذكسيّة الشرقيّة، الكتاب الثالث: مؤتمر الشرق الأوسط، في دير الآبا يشوي، ١٩٩٧، ٢٢٨ ص. قام بالترجمة

أوديت تاصيف. أمّا المؤتمر المذكور فحصل في أكتوبر ١٩٩١، ومن الذين شاركوا في المداخلات وإلقاء المحاضرات، البابا شنوده الثالث، البطريرك إسطفانوس الثاني، الكاردينال فرانسس كوتيك، الأسقف ميروب ك. كريكوريان، المطران كيرلّس بسترس، المطران غريغوريوس يوحنّا إبراهيم، الأرشمندريت نيقولا أنتيا... نصوص باتت مراجع أساسيّة في الحوار المسكونيّ.

- نحو مشاركة للإيمان الواحد، وهو دليل دراسيّ للمناقشة في المجموعات»، صدر عن لجنة الإيمان والنظام في مجلس الكنائس العالميّ بجنيف العامّ ١٩٩٦، ونشرته دار ماردين العام ١٩٩٨ بالتعاون مع مجلس كنائس الشرق الأوسط (٥٨ ص). وقام بالترجمة الأديب وازق سريانيّ.

- وبالتعاون بين المؤسّستين المذكورتين نُشر أيضًا كتيّب إلى الله توجّهوا، وبالرجاء ابتهجوا (١٩٩٨، ٤٢ ص)، وهو مدخل إلى موضوع جمعيّة مجلس الكنائس العالميّ الثامنة التي التأمت في هراري - زيمبابوي - في العام الحاضر. وواضع الكتيّب هو توماس ف. بست، والناقلة إلى العربيّة الأديبة الهمّامة مارسيل خوري طراقجي.

- المرتي المَلْفُونو شكري طراقجي. حياته، مقالاته، إعداد وتقديم المطران غريغوريوس يوحنّا إبراهيم، ١٩٩٨، ١٠٦ ص. كتيّب مفيد على صغر حجمه، إذ يروي سيرة إنسان فاضل غيور من أركان الكنيسة السريانيّة في حلب، عمل خاصّة في التربية إلى جانب اضطلاعه بمسؤوليّات رفيعة في حقل الوظيفة العامّة، وساهمته الفعّالة على الصعيد المسكونيّ. وقد جمع المطران إبراهيم مقالات المرحوم الأستاذ طراقجي التي أصدرها في النشرة السريانيّة في أواسط القرن الحاليّ، ولمّا كانت موضوعاتها تتمحور حول التربية، أطلق سيادته على الكتيّب عنوان المربّي. وإنّنا لنثني على البادرة هذه، راجين أن يتحفنا الباحثون والكتّاب بمزيد من مثل تلك النبذ التي تلقي الضوء على جوانب مغمورة من تاريخ شرقنا، وهي جديرة بأن تُعرَف.

أ. ك. حشيمه

القواعد السريانيّة الأساسيّة
من خلال نصوص القدّاس الماروني
تأليف الأب يوحنّا يشوع الخوري
مجموعة «دراسات سريانيّة»، رقم ٣، منشورات الرسل، جونية، ١٩٩٥، ١٤٠ صفحة

معروف عن الأب يوحنّا الخوري أنّه يدرّس السريانيّة وغيرها من اللغات الساميّة في عدد من الجامعات والمعاهد، وله في هذا المجال خبرة واسعة وطول باع، وقد كان من تمرُّسه في اختصاصه هذا أن أُتيح له ابتكار أساليب سهلة المنال مستحبّة، تجمع بين الدقّة العلميّة والتطبيق العمليّ. ومن مؤلّفاته المعروفة: مدخل إلى اللغة السريانيّة، جونية،

١٩٨٧، وقواعد اللغة السريانيّة - الصرف، جونية، ١٩٩٤. ويأتي مصنَّفُه في القواعد السريانيّة الأساسيّة ممتعًا واضحًا، يفيد منه أوّلًا من سُلِّمت إليهم وديعة اللغة السريانيّة في الدرجة الأولى، رجالُ الدين من سريان وموارنة خاصّةً، إضافةً إلى طلّاب العلم والثقافة على وجه العموم. والكتاب مطبوع بإخراج متقن وأناقة.

أ. ك. حشيمه

مدخل إلى اللغة العبريّة من خلال نصوص العهد القديم
المدخل الأوّل: دروس تمهيديّة وأيّام الخلق مع الإنسان الأوّل

الأب يوحنّا يشوع الخوري

منشورات الرسل، جونية، طبعة ثالثة منقّحة وموسّعة، ١٩٩٧، ٢٠٠ صفحة

سبق لحضرة المؤلّف أن وضع غير كتاب لتعليم اللغة العبريّة، منها: نصوص عبريّة من العهد القديم، بيروت، ١٩٧٩، ثمّ جونية، ١٩٨٧؛ معجم عبريّ عربيّ، بيروت، ١٩٨٠، ثمّ جونية، ١٩٨٧؛ موجز في قواعد اللغة العبريّة، جونية، ١٩٨٧. وقد جمع بعد ذلك قواعد العبريّة في كتاب واحد شامل أسماه مداخل إلى اللغة العبريّة من خلال نصوص العهد القديم، ويأتي الجزء الذي نحن الآن بصدده مدخلًا أوّلًا وفيه أربعة أقسام. أوّلها يدرس الحروف والحركات بأسلوب تدريجيّ سهل. وثانيها يقدّم بالعبريّة أسماء الأسفار المقدّسة التي ستؤخذ منها النصوص العبريّة مع تعريف موجز بالعربيّة لمضامين هذه المؤلّفات، فيتوصّل الطالب إلى قراءة هذه الأسفار وهؤلاء الأشخاص بالحروف العبريّة مع الحركات. وفي القسم الثالث يتقدّم الطالب في سُبُل القواعد العبريّة مع بعض الأمثلة عن الأفعال والأسماء والأدوات: كأداة التعريف وواو العطف وواو القلب وأحرف الجرّ وما شاكلها. ويختصّ القسم الرابع، وهو الأهمّ، بتقديم نصوص عبريّة في سبعة دروس، على عدد أيّام الخلق، مع ترجمتها العربيّة الدقيقة وتفسير ما يطرأ من قواعد. ويُختم الكتاب بمعجم عبريّ عربيّ يوضح جميع المفردات التي وردت في الدروس.

هذا الكتاب مرجع مليء بالفوائد، سهل الاستيعاب، واضح كلّ الوضوح، جميل الإخراج.

أ. ك. حشيمه

كتابات قمران

الجزء الأوّل:
نظام الجماعة، ملحق نظام الجماعة، المباركات، نظام الحرب، المدائح

الجزء الثاني:

درج الهيكل، وثيقة صادوق، مزامير داودية، تفاسير يبلية، منحول التكوين، مقاطع مختلفة

قدّم لها وعرّبها الخوري بولس الفغالي

منشورات الرابطة الكتابية، بيروت، ١٩٩٨، ٢١٠ + ٢٩٠ صفحة

الحديث عن جماعة قمران وكتبها ليس بالجديد، إذ إنّ أدبًا كثيرًا باللغات الأوروبيّة قد نُشِر منذ سنوات حول الموضوع في أعقاب اكتشاف «خربة قمران» ومحتوياتها في العام ١٩٤٧ بواسطة بدويّ من قبيلة تعميرة. والمخطوطات التي وُجِدت في المغاور تحتوي على ثلاثة أنواع من الكتب: نصوص من الكتاب المقدّس بعهده القديم، نصوص منحولة، وأخيرًا نصوص قمرانيّة تتحدّث عن نظام الجماعة وحياتها.

والخوري بولس الفغالي، في سياق دراساته المتنوّعة حول الكتاب المقدّس، نقل إلى العربيّة مجموعة من الكتب القمرانيّة التي لا بدّ من أن يعرفها القارئ بالعربيّة، إذ إنّ صلة الوصل بين محيط الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد والمحيط القمرانيّ هي قويّة، وهذا ما نجده في الكثير من التعابير والأحوال.

في نهاية الجزء الثاني سرد بالمراجع والمصادر التي عاد إليها صاحب الكتاب، وجلّها بالفرنسيّة والإنكليزيّة. أمّا الترجمة فهي سهلة المنال ونُقرأ بدون صعوبة، يضاف إليها الكثير من الحواشي والتعليقات المختلفة التي توضّح بعض الغوامض. وكلّ نصّ بسبقه مقدّمة عامّة تلخّص الإطار والمضمون.

أ. س. دكّاش

مريم بحسب الأناجيل

تأليف جان بول ميشو

وترجمة الأب صبحي حموي اليسوعي

سلسلة «دراسات في الكتاب المقدّس»، دار المشرق، ١٩٩٨، ٩٤ صفحة

إنّ الأب جان بول ميشو، مؤلّف هذا الكتاب، يدرّس العهد الجديد في جامعة القدّيس بولس في أوتاوا (كندا). عُرف بكفايته في تدريس المريميّات وبقدرته على الإصغاء إلى النصوص وعلى استخلاص مضمونها الخاصّ.

لا شكّ في أنّ ما نعرفه عن مريم نُقل إلينا بواسطة التراث الإنجيليّ، ولا ننسى أنّ هذا التراث هو تراث إيمان، لم يدوَّن في وجهة نظر قصصيّة، بل ليكشف لنا عن الحقيقة التي تعبّر عن كلمة «عمّانوئيل»، الله معنا، ولتمكّننا أن نحيا بها. ومن جهة أخرى، فإنّ المسيح وسرّه هما مصدر شخصيّة مريم الوحيد.

إنّ فقرات العهد الجديد، التي يرد فيها ذكر مريم هي قليلة، وفي رسائل القدّيس بولس كلّها ليس لها أيّ ذكر. والإنجيليّ مرقس هو أوّل مَن سمّى مريم باسمها. أمّا متّى ولوقا

فإنّهما أسبقا إنجيليهما بـ«روايات الطفولة». وهذه النصوص اشتهرت فأثّرت في المخيال المسيحيّ، وخلّفت محبّة الشعب لمريم. «وفي حين أنّ هذه النصوص كانت تُعدّ إلى عهد قريب روايات عرضيّة يسهل فصلها عن بقيّة الإنجيل، يشدّد التفسير الكتابيّ الحاليّ، خلافًا لذلك، على أنّ عدّة خيوط من التي تحوك نصوص متّى ولوقا تتعلّق بتلك الروايات الافتتاحيّة». ومن الجدير بالذكر أخيرًا أنّ كاتب الإنجيل الرابع، وهو الإنجيل اللاهوتيّ المثاليّ، يفتتح ويختتم تحرير كتابه بمشهدَين خاصَّين به، في قانا وعند قدم الصليب، يسلّطان الأضواء على «أمّ يسوع».

التزم الأب جان بول ميشو وصيّة المجمع الفاتيكانيّ الثاني (دستور في الكنيسة، ٦/ ٦٧)، فامتنع، «في آن واحد، عن كلّ مبالغة كاذبة وعن ضيق عقل مفرط». فمن المفترَض أن يُسهم كتابه هذا، المبنيّ على التفسير المتين، في تعزيز الحوار المسكونيّ حول مريم التي تُثني عليها جميع الأجيال بصفتها مثال الإيمان.

أ. صبحي حمويّ

القصص الدينيّ

تأليف الخوري بولس الفغالي

سلسلة «المجموعة الكتابيّة»، رقم ١٢، منشورات المكتبة البوليسيّة، بيروت ١٩٩٧، ٤٧٥ صفحة

نشيد الأناشيد أو نشيد حبّ الله لشعبه

تأليف الخوري بولس الفغالي

سلسلة «المجموعة الكتابيّة»، رقم ١٥، منشورات المكتبة البوليسيّة، بيروت، ١٩٩٧، ٣٢٥ صفحة

يتضمّن الكتاب الأوّل، بحسب قول المؤلّف، «سفر راعوث أو المرأة التي دخلت في نسل الربّ، ومراثي إرميا أو كيف، كيف، كيف؟، وسفر أستير أو الملكة التي خُلّصت من الموت شعبَها المضطهَد، وسفر دانيال أو نداء القيامة وسط المحن والاضطهادات، وسفر يهوديت أو المرأة التي أنقذت شعبها، وسفر طوبيّا أو قصّة عائلة مباركة، وسفر باروك أو نداء الأزليّ إلى شعبه الخاطئ، ورسالة إرميا أو خطر عبادة الآلهة الكاذبة» (ص ٥).

يبدأ المؤلّف في كل كتاب «بمدخل عامّ، ثمّ يعرد إلى النصوص يشرحها، قبل أن يقدّم خاتمة تجمّع الأفكار الرئيسة التي وجدها في كلّ سفر من الأسفار» (ص ٥).

«القصص الدينيّ يقدّم لنا رواية واقع من الوقائع أو حدثًا من الأحداث. وكاتب القصّة يختلف عن المؤرّخ. فهذا يحاول أن يكون أمينًا للحقيقة التاريخيّة، أن يعرض الأحداث كما هي، وذلك بقدر المستطاع. أمّا الراوي فينطلق من بعض العناصر التي قد تكون تاريخيّة أو لا، لكي يقدّم لنا فكرة أو تعليمًا أو إرشادًا... وهكذا نكون، في هذا الكتاب، في ما يسمّى المدراش، الذي هو درس وتأمّل في النصوص الكتابيّة، درس وتأمّل في الأحداث السابقة، بغية استخلاص قاعدة حياة من أجل الحاضر الذي يبدو مظلمًا قاتمًا.

نجد في هذا الفنّ الأدبيّ الخبر الخياليّ الذي يخرج من الواقع اليوميّ ليؤثّر فينا، كما نجد العبرة التقويّة من خلال عظة أو إرشاد يتوجّه إلى المؤمنين... فلا نبحث عمّا حصل فعلًا، بل عمّا يريد الكاتب أن يوصله إلينا من تعليم دينيّ... فلا يبقى لنا إلاّ أن نترك نفوسنا تسبح في بحر هذه النصوص فنكتشف لآلئ تقدّمها لنا التوراة من خلال الخبر والقصّة، من خلال الرواية والموعظة».

أمّا الكتاب الثاني «نشيد الأناشيد»، فهو «تفسير أجمل نشيد، نشيد حبّ الله لشعبه وحبّ الشعب لربّه... مَن يتجاسر على تفسير هذا الكتاب الذي يُدخلنا في سرّ الله الذي هو محبّة؟... لم يتجاسر أن يفسّره إلاّ النفوس المُشبعة بالحبّ الإلهيّ... نحن تتبّعنا تلك النفوس. لم نأتِ بشيء جديد، بل أخذنا غناها وقدّمناه إلى القارئ العربيّ...

«نشيد الأناشيد هو كتيّب صغير في التوراة. وقد أردنا له تفسيرًا كبيرًا. فهو مهمّ جدًّا لأنّه يربط العهد القديم بالعهد الجديد، ويربط الإله الخالق بالإله المحبّ، ويربط شعب التوراة بكنيسة المسيح، ويجعل كلّ النفوس المؤمنة على مستوى الروح الذي يُدخلنا في تيّار الحبّ، حبّ الآب، والابن، حبّ الله والعالم، حبّ المسيح ونفوس المؤمنين. لهذا، نقرأ هذا الكتاب ونحاول أن نلج إلى قلب الله الذي هو حبّ وعطف وحنان، الذي يريد أن يأتي إلينا ويجعل منّا مسكنًا له».

أملنا كبير بأنّ القارئ الذي يطالع هذه الأسطر التي اقتبسناها من مقدّمة كلّ من الكتابَين سيشعر برغبة كبيرة في اقتنائها والاستفادة من الجهود التي بذلها المؤلّف ليسهّل للمؤمنين قراءة كُتُبٍ قد تبدو أحيانًا بعيدة عن حياتهم.

سبق لنا، في بعض أعداد هذه المجلّة، أن أشرنا إلى العمل الجبّار الذي يقوم به الخوري بولس الفغالي في تفسير أسفار الكتاب المقدّس تفسيرًا يوجّهه إلى عامّة المؤمنين، فيُغني مكتبتنا العربيّة بكتب نحن في أمسّ الحاجة إليها. فيطيب لنا أن نختم هذا التعريف الوجيز بدعوته إلى متابعة عمله لمجد الله وخدمة الكنيسة.

أ. صبحي حمويّ

إنجيل متّى
الجزء الثاني: سرّ الملكوت
تأليف الخوري بولس الفغالي
سلسلة «دراسات بيبليّة»، الرقم ١٦، الرابطة الكتابيّة، بيروت، ١٩٩٨، ٥٩٢ صفحة

هذا الكتاب هو السادس عشر في سلسلة «دراسات بيبليّة» التي ألّف جميع أسفارها حضرة الأب بولس الفغالي، وإنّه يكمّل الجزء الأوّل المعنون: إنجيل متّى: بدايات الملكوت، الذي صدر العامَ ١٩٩٦ وكان التركيز فيه على سرّ يسوع من العهد القديم إلى العهد الجديد، فعلى عظة الجبل، فعلى معجزات عشر. أمّا الجزء الثاني موضوع هذا

العرض، فيركّز على: سلطة الملكوت، السؤال حول الملكوت، نموّ الملكوت، مسيرة الملكوت. وفي ما يتعلّق بأسلوب العمل في الكتاب فهو الآتي: تُقدَّم في بداية كلّ مرحلة من المراحل الأربع المذكورة نظرة عامّة إلى المرحلة بمجملها، مع التشديد على البنية والتركيب. ثمّ يتمّ التوقّف على كلّ مقطوعة على حدة فتُدرس في إطارها التاريخيّ والنقديّ، في بنيتها ومراجعها وطرق تفسيرها، وهكذا ينجلي المعنى اللاهوتيّ تدريجًا.

إنّ هذا الكتاب يوفّر، شأنه شأن ما سبقه في السلسلة، تفسيرًا ضافيًا وافيًا لنصّ الإنجيل، جزيل الفائدة للدارسين والمؤمنين.

أ. ك. ح.

ألْهَجُ بكلامك نهارًا وليلًا. المزامير ١-٥٠

تأليف الخوري بولس الفغالي

سلسلة «القراءة الربّيّة»، الرابطة الكتابيّة، الرقم ٩، بيروت، ١٩٩٨، ٢٤٤ صفحة

من حسنات سلسلة «القراءة الربّيّة» التي يحرّرها حضرة الأب بولس الفغالي، أنّها تبتغي ربط الدراسات في الكتاب المقدّس بواقع الحياة، فتنطلق بالقارئ من الغوص العلميّ في النصوص إلى تطبيق عمليّ ينعكس على مسيرته الروحيّة بمعيّة كتاب الله. ولبلوغ المرام في موضوع المزامير الذي هو مادّة هذا الكتاب، تقوم خطّة المؤلّف على استعراض كلّ مزمور من خلال مراحل أربع: تحديد فنّه الأدبيّ، شرح عنوانه وتصميمه، شرح معانيه الكتابيّة، إدراك أبعاده في ضوء حياة المسيح والكنيسة. وكثيرًا ما أيّد المؤلّف المرحلة الأخيرة هذه باستشهادات من أقوال آباء الكنيسة كيوحنّا الذهبيّ الفم وأوغسطينس وأمبروسيوس وسواهم. ولا شكّ في أنّ هذا الكتاب سيكون خير معين لجميع مَن يرومون دخول محراب المزامير، وبمساعدته يستطيع لسانُ حال كلّ مَن تَوَرّد أفكاره أن يقول: «ألهج بأفكارك نهارًا وليلًا».

أ. ك. ح.

البدايات أو مسيرة الإنسان إلى الله

تأليف الخوري بولس الفغالي

سلسلة «محطّات كتابيّة»، الرقم ١١، الرابطة الكتابيّة، بيروت، ١٩٩٨، ٢٧٢ صفحة

يحاول هذا الكتاب أن يبيّن، من خلال التركيز على أسفار الشريعة الخمسة خاصّة، كيف خطّط الله منذ البدايات ليكون الإنسان، في عمليّة خلق مستمرّة، على صورته تعالى ومثاله. وإذ يكتشف المرء، من ملاحظة واقعه، أنّه منغمس في الخطيئة، يحاول، بمساعدة الله مخلّصه، أن يعود إليه تائبًا متطلّعًا إلى حياة معه أفضل. المؤلّف كلّه قراءة روحيّة للنصوص المقدّسة تُدخل المؤمن إلى عمق معاني كتاب الله.

أ. ك. ح.

الآيات والمعجزات في الكتاب المقدّس

تنسيق وتقديم الخوري بولس الفغالي

سلسلة «محطّات كتابيّة»، الرقم ١٢، الرابطة الكتابيّة، بيروت، ١٩٩٨، ٣٢٦ صفحة

الكتاب حصيلة أعمال «الأيّام البيبليّة الأولى» التي تمّت في دير مار روكس – الدكوانه، قرب بيروت، في ٢٨–٣٠ كانون الأوّل/ديسمبر ١٩٩٧، نسّقها وقدّم لها الخوري بولس الفغالي. والموضوع الذي عالجته المداخلات في ذلك اللقاء هو من الأهمّيّة بمكان، إذ ينظر إلى الأعمال الخارقة التي ينجزها الله في سبيل الإنسان، وكيف تصبح في مرحلة ثانية «آية»، أي علامة تقود غير المؤمن إلى الإيمان وتثبّت المؤمن في إيمانه. القسم الأوّل من المداخلات يقدّم نظرة لاهوتيّة إلى الموضوع، والقسمان الثاني والثالث يدرسان المعجزات في العهد القديم وفي الأناجيل وأعمال الرسل. أمّا القسم الرابع فقوامه دراسة آيات ذُكرت في نصوص معيّنة، كطرد الشياطين، وإحياء الموتى، وشفاء صاحب اليد اليابسة، وتكثير الخبز، وتحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل.

لا بدّ من أن نثني على مثل تلك «الأيّام» التي تتيح لعلماء وباحثين من ذوي الهمّة والكفاية التلاقي والتداول ومن ثمّ إصدار الدراسات القيّمة التي تدفع إلى الأمام عجلة الإنتاج اللاهوتيّ والكتابيّ باللغة العربيّة، وما أحوجنا إليه! إلّا أنّنا، في معرض كلامنا هذا على تأمين الدراسات الدينيّة الموضوعة بالعربيّة لا المنقولة، نأمل أن يُعنى بعض المؤلّفين، أو مَن ينشر مداخلاتهم، بأسلوبهم، لتأتي لغتهم في مستوى مضمون ما يقدّمون، بعيدةً عن الركاكة المتربّصة بمَن هم في عجلة من أمرهم، فيزدان الجوهر بحسن المظهر، ويتمّ الائتلاف على أكمل وجه.

أ. ك. حشيمه

Les origines du monde et de
l'homme dans l'œuvre de Saint Ephrem
par le Père Paul Féghali
Collection «Antioche Chrétienne», Cariscript, Paris, 1997, 312 pages

بدايات العالم والإنسان في مؤلّفات أفرام السريانيّ

يبحث هذا الكتاب، وهو بقلم الخوري بولس الفغالي، في مسألة خلق العالم والإنسان، وزلّته، كما تجلّى في مؤلّفات القدّيس السريانيّ الكبير. وهذا الموضوع كثيرًا ما بحث فيه آباء الكنيسة، ويمكننا أن نذكر هنا، من بين الذين عاصروا أفرام، الأخوين القبّدوقيّين باسيليوس القيصريّ وغريغوريوس النيصيّ.

كرّس الكاتب ما يزيد على ثلاثين صفحة ليعرّفنا بأفرام ومؤلّفاته وخصومه، راسمًا صورة خاطفة، ولكن دقيقة، لأوضاع المشرق في القرن الرابع، أي الحدود الإمبراطوريّة الرومانيّة في الشرق، وقد عانت العديد من الانقلابات. وهذه المقدّمة ستفيد كثيرًا كلّ قارئ غير

مطّلع وتمكّنه من تعيين مكان الموضوعات المعالجة في سياق الكتاب.

ومن بين الفصول الستّة، يبحث الأوّل في أولى كلمات سفر التكوين: «في البدء خلق الله السماء والأرض». نجد في هذه الفقرة، بين ما نجده، موضوع خلق العالم بكلمة الله، اينه. ونلفت النظر إلى أنّ ما يتعلّق بالظلام والنور والفصل بينهما يستحقّ أن نتوقّف عنده. ذلك بأنّ أفرام لم يكن في وسعه أن يُهمل هذا الوجه الهامّ جدًّا من وجوه الثنائيّة المانويّة.

وفي الفصل الثاني، يستعرض الكاتب نصوص أفرام المختصّة بالكَون، بذلك العالم المنظَّم، ثمّ ينتقل إلى الإنسان الذي هو الكون الصغير. ويحمل جمالُ الخليقة وجودتها أفرام إلى التهجّم على التشاؤم المانويّ، في حين يدفعه عالَم الكواكب والسيّارات إلى الاصطدام بحتميّة المنجّمين الكلدانيّين. وفي هذا الفصل، نجد موضوعًا قديمًا جدًّا عند آباء الكنيسة، وهو العالم المصنوع من أجل الإنسان.

وفي الفصل الثالث، يتطرّق أفرام إلى موضوع الفردوس. وفي ما يختصّ بحقيقة الفردوس الروحيّة، نجد في «أناشيد الفردوس» (١/١١) أن «ليس للموت مكان فيه» وبالتالي «للمرض والشيخوخة». إنّ هذا النصّ مفيد جدًّا اعتبارًا للمناظرة الكبيرة التي شبّت بين أسقفين مونوفيزيّين، بعد موت أفرام بنحو خمسين سنة، أعني المناظرة التي قامت بين ساويرس الأنطاكيّ ويوليانس الهليكَرنَسي، المنفيّين إلى مصر. كان يوليانس يقول بأنّ المرض والتعب والشيخوخة وسائر نواحي الضعف في الجسد لم تكن من خصائص طبيعة هذا الجسد، بل «أُضيفت» في إثر زلّة آدم. فكان يوليانس يستنتج أنّ جسد المسيح، الذي كان كاملًا، كان منزّهًا عنها. لكنّ ساويرس كان يرفض ذلك، لأنّ مثل هذا الجسد، لو كان منزّهًا عنها، لما كان جسد كلّ إنسان.

والفصل الرابع يبحث في خلق الإنسان على صورة الله. لعلّ هذا الفصل هو الأكثر فائدة. نلفت الانتباه إلى القسم المخصّص بمفردات «صورة الله» ولا سيّما ما يتعلّق بـ«الإنسان المفطور على النُطق والإرادة». أمّا الفصلان الخامس والسادس، فإنّهما يتطرّقان إلى خطيئة الإنسان ونتائجها، الموت بوجه خاصّ.

وفي الختام يبدو واضحًا للعيان أنّ المؤلّف ملمّ بموضوعه وقد أولى عمليّة نشر كتابه اهتمامًا أكيدًا: فهناك الفهارس (أسماء العلم، الإحالات إلى مؤلّفات أفرام، والمواضيع)، والمراجع ولائحة مختصرات المؤلّفات المستشهَد بها. لكنّ كثرة الألفاظ السريانيّة المكتوبة بأحرف لاتينيّة قد تضايق القارئ غير المطّلع. والأمر الوحيد الذي يمكن أخذه على هذا الكتاب هو أنّنا لا نستطيع أن نعرف هل هو موجّه إلى أهل الاختصاص في الأدب السريانيّ أم إلى الجمهور المثقّف.

الأب جوزف بوحجر اليسوعيّ

مسألة الله في التاريخ

من الكتاب المقدّس إلى الظاهرة الدينيّة المعاصرة

تأليف الأب ڤيكتور شلحت اليسوعيّ

سلسلة «دراسات لاهوتيّة»، دار المشرق، بيروت ١٩٩٨، ١٣٦ صفحة

أهمّ ما يمتاز به هذا الكتاب هو أنّه يعالج «مسألة الله» من نشأتها حتّى أيّامنا. وهذه ميزة قلّما نجدها في مؤلّفات مكتبتنا العربيّة. فنحن مدينون للأب ڤيكتور شلحت بأنّه استطاع أن يعالج، ببراعة وإنشاء سلس وفي صفحات قليلة، مسألة متشعّبة ومتعقّدة تتطلّب، في حدّ ذاتها، عدّة مجلّدات، فأثبت أنّ الشعور الدينيّ هو أحد مقوّمات الإنسان الأساسيّة، ولا يمكن قمعه أو اقتلاعه أو تجاهله.

قسّم الكاتبُ التاريخ إلى خمس مراحل: من خروج العبرانيّين من مصر إلى بدء عصر الآباء اللاهوتيّين (وهي مرحلة الله مع شعبه ومع الإنسان في الكتاب المقدّس) - عصر الآباء اللاهوتيّين إلى نهاية القرن السادس عشر (وهي مرحلة انتقال المسألة من صعيد الوجود إلى صعيد المفهوميّة اللاهوتيّة في معرفة علاقة الابن بالآب ومعرفة الله وأسمائه) - القرنان السابع عشر والثامن عشر وبدء القرن التاسع عشر (وهي مرحلة ظهور النزعة العلميّة وانتشارها، وتميّز بعزل الله عن الحياة الفكريّة والعلميّة وعن الحياة العامّة) - القرنان التاسع عشر والعشرون (وهي مرحلة الإنسان المعادي لله في عصر الحداثة والتعلمن) - نهاية القرن العشرين (وهي مرحلة ظهور الشعور الدينيّ ظهورًا عالميًّا).

وأضاف الكاتب ملحقًا حول العلم والإيمان، وشدّد فيه على أنّهما لا يتعارضان، بل يتكاملان. وتكلّم فيه على تحدّيات العلم والتقنيّة وعلى حذر المؤمن منهما، وقال إنّهما في خدمة المؤمن. وختم هذا الملحق بالفقرة التالية: «يستطيع الإنسان أن يكون عالمًا ومؤمنًا في آن واحد... فالمعرفة التي يكوّنها العالِم المؤمن هي إذًا أوسع أفقًا من معرفة غير المؤمن، لأنّ المؤمن يربط بين المادّة والروح، وبين الزمن والأبديّة، وهذا ما يعجز عنه غير المؤمن. فالمسيحيّ مدعوّ إذًا إلى أن ينظر إلى المصير البشريّ نظرة شاملة تُعدُّها الكون والأبديّة، وهو يستطيع في إيمانه أن يتخطّى التحقّق العلميّ المنهجيّ نحو حقيقة الله الذي لم يَرَه أحد قطّ، والذي أخبر عنه الابن الوحيد القائم في حضن الآب» (يوحنّا ١/١٨).

أ. صبحي حمويّ

- الله، مَن هو وهل نؤمن به؟

جرتيه ١٩٩٧، ١١٨ ص

- وادي تنّورين، مدرسة حياة

١٩٩٧، ١٤٦ ص

تأليف الأب ميشال العويط

تذكّر القارئ أوّلًا بأنّ الأب ميشال العويط وضع عددًا من الكتب غير قليل في مواضيع

مختلفة: خُبز وخَمر، ملح الأرض، اتبعني، سأبقى معكم، أنت المسيح، الموارنة ضمير الكنيسة، الموارنة، مَن هم وماذا يريدون؟، الله ومواعده، ابن الله، البطريركيّة المارونيّة تاريخ ورسالة. وتتوقّف اليوم عند كتابَين صدرا في ١٠ أيّار ١٩٩٧، في مناسبة زيارة البابا يوحنّا بولس الثاني للبنان: الله، مَن هو وهل نؤمن به؟ ووادي قنّوبين، مدرسة حياة. في الأوّل خواطر فلسفيّة ودينيّة وتاريخيّة واجتماعيّة، وفي الثاني وصف للإيمان الذي عاشه الموارنة الأوّلون في جوار وادي قنّوبين، وما صار إليه هذا الإيمان على مرّ السنين حتّى أيّامنا.

يمتاز المؤلّف بأسلوبه الجذّاب، فإنّه كثيرًا ما ينطلق من الأفكار والأمور والأحداث البسيطة التي هي في متناول جميع الناس، ويرتقي بهم إلى التأمّلات والاعتبارات الدينيّة التي يريد أن ينقلهم إليها ويشرحها لهم، من دون أن يتخلّى عن البساطة والوضوح. وهذا ما أشار إليه ميادة المطران جورج أبو صابر، الذي قدّم للكتاب بقوله: «كم أنّ أسلوبه شيّق وكم تزخر البساطة والسهولة ووضوح التعبير، بحيث يشعر المطالع بنكهة أدبيّة، حلوة في قراءة الكتاب، تستهويه هذه العفويّة والرشاقة في رصف الأدلّة بشكل منطقيّ لا تترك في ذهن المطالع أيّ ارتباك حول القضيّة التي يحاول المؤلّف تبيانها وتقريب منالها واستيعاب مضمونها».

نسمح لنفسنا، في الختام، أن نعلّق بسرعة على ما ورد في الصفحات الأخيرة من كتاب «وادي قنّوبين»، حيث يُشار إلى تقلّص دور الرعيّة، لصالح دور الحركات الرسوليّة والمدارس الأجنبيّة. فقد تعود هذه الظاهرة إلى أنّ الرعية لا تضمّ إلاّ طائفة واحدة، في حين تنمي الحركات الرسوليّة والمدارس الأجنبيّة إلى جميع الطوائف، وهي فائدة لا تُنكَر. لكنّ هذا الواقع لا يجوز أن يحول دون التعاون بين الطرفَين، وإن بصعوبة لا يسهل تذليلها. وهذا ما نظنّ أنّه يلتقي تفكير المؤلّف.

أ. صبحي حمويّ

الأخلاق والطبّ

بحث في وسائل

منع الحمل والإجهاض والتلقيح الاصطناعيّ والقتل الرحيم

تأليف جوزف معلوف

سلسلة «دراسات أخلاقيّة»، المكتبة البولسيّة، جونيه، لبنان، ١٩٩٧، ١٩٨ صفحة

يتناول المؤلّف بالبحث أسئلة حياتيّة تطرحها الإمكانات الطبّيّة الحديثة في مجالات منع الحمل والإجهاض والتلقيح الاصطناعيّ والقتل الرحيم والمعالجة العنيدة. وفي سبيل ذلك يبدأ بتوضيح هذه القضايا من الناحية الطبّيّة، ثمّ يدرس طروحات العلوم الإنسانيّة والفلسفة الأخلاقيّة، ثمّ يعرض الفكر الإسلاميّ والكاثوليكيّ في هذه القضايا قبل أن يقدّم في النهاية بعض التطبيقات الأخلاقيّة التي تختصّ بها.

ونكتشف من منهج الكتاب أنّه أراد توسيع دائرة البحث والتعرّف إلى أبعاد هذه القضايا وتعقيداتها والأسئلة الأساسيّة التي تطرحها على إنسان اليوم وعلى المجتمعات كافّةً، غربيّة كانت أم شرقيّة، وكذلك التعرّف إلى المناهج المختلفة المتّبعة في دراسة هذه الموضوعات ومعطيات العلوم الإنسانيّة والفلسفيّة ورؤية الأديان في ما يختصّ بهذه الأمور. وإذ يُعتبر الفصل السادس والأخير (تطبيقات أخلاقيّة في قضايا الطبّ) غايةَ الكتاب وأهمّ أجزائه، إلاّ أنّ الفصول السابقة لا تقلّ أهمّيّة عنه وتمهّد له من خلال آراء ومواقف قد تبدو مبعثرة للوهلة الأولى.

ومن إيجابيّات هذا الكتاب عرضُ الجانب الطبّيّ من القضايا المطروحة عرضًا جيّدًا وسهلَ المنال في الوقت نفسه، وتوسيعُ دائرة البحث بعرض الجوانب الفلسفيّة واللاهوتيّة والاجتماعيّة في هذه القضايا. وفي ما يختصّ بتعليم الكنيسة الكاثوليكيّة، فقد قام بتوضيح أبعاد هذا التعليم وأسسه وأهدافه، وطَرَح المؤلّف بنوع من اللطف والحذر أسئلة مهمّة حول موقف الكنيسة الرسميّ وذكّر بأبعاد غائبة عنه، وأورد بعض الأمثلة الحياتيّة الواقعيّة التي قد لا تنسجم مع هذا التعليم في ما يختصّ بتنظيم الأسرة والتلقيح الاصطناعيّ بين الزوجين وحتّى الإجهاض. وإذ تركّز الفصل الممتع بالعلوم الإنسانيّة ونظرتها إلى الحياة على دحض مواقفها النسبويّة بالأخصّ، امتاز الفصل الفلسفيّ بعرض جيّد لفكر كانْط الأخلاقيّ ولمواقف سارتر من الحرّيّة والحياة، علمًا أنّ المؤلّف لم يوضّح تمامًا موقفه من مسائل كطيعة الضمير ومكانته، ولذا يشعر القارئ أحيانًا بنوع من التردّد في الموقف والتأرجح في الرأي يظهران هنا وهناك عبر الصفحات.

إنّ هذا الكتاب يساعد القارئ العربيّ على فهم قضايا حيويّة ويوميّة يطرحها عليه الطبّ والعلوم البيولوجيّة، وهو يعتمد كثيرًا على ذكاء القارئ وفطنته للوصول إلى رأي أخلاقيّ شخصيّ في الموضوعات المطروحة من خلال مجمل العرض وشكل التلميحات وطريقة طرح الأسئلة. وقد تميّزت مواقف المؤلّف عامّةً بالأمانة البصيرة لتعليم الكنيسة الكاثوليكيّة الرسميّ، وبالرغبة الجدّيّة الصادقة في تفهّم أبعاد الموضوعات المطروحة، وبتقدير ظروف الناس المعقّدة في مواجهتهم شؤون حياتهم وشجونها.

الأب نادر ميشيل اليسوعيّ

ومن الكلمات بعضها...

تأليف الأب الياس زحلاويّ

منشورات المكتبة البولسيّة، بيروت - جونيه، ١٩٩٧، ٥٤٦ صفحة

لا شكّ في أنّ هذه «الكلمات»، وهي بعضٌ من كلٍّ غزير ومتنوّع، تعكس وتُرجز في كتابٍ ما أعلنه الأب زحلاويّ في كتبه العديدة: إيمانه بالله إيمانًا راسخًا يلتزم قضايا الإنسان عامّةً والإنسان العربيّ خاصّة.

لقد سبقَ أن طالعنا بعضًا من هذه «الكلمات» في كتاب مجد الله هو الإنسان الحيّ الذي

أصدره المؤلّف منذ عشرين سنة ونيّف بالتعاون مع أسرة «الرحيّة الجامعيّة» في دمشق، كما قرأنا له بعضًا آخر صدر في مجلّة المسرّة، وكنّا دومًا نثمّن في الكاتب أسلوبه المتين الرشيق النافذ إلى العمق، ونشاطره نضاله في سبيل تحرير الإنسان المؤمن من خوفه أو تخاذله أو حتّى أصنامه التي تشوّه صفاء إيمانه. واليوم، بمطالعة تلك «الكلمات» التي استجمعها صاحبها من بعض ما كتب، نُسَرُّ ونشكر. نسرُّ لأنّ الكتاب بمجمله نابع من روح الإنجيل التي لا تعرف المماثلة، فيحمل بُشراه السارّة وإن قَسَت لهجتها أحيانًا للمتقاصين. ونشكر للأب المؤلّف كتابه الأخير هذا لأنّه ساعدنا، من خلال صفحاته المنعشة، أن «نسير واتّاه على دروب الربّ (...) بحثًا عن يسوع وعن الآخرين وعن ذواتنا» (ص ٣٤٩).

وفي الختام ملاحظة شكليّة لتصحيح معلومتَين: ورد في الصفحة ٣٤٢ أنّ ألبير شوايتزر (والأفضل أن يُكتَب شفايتسر) هو ألمانيّ، في حين هو فرنسيّ على الرغم ممّا يوحي به اسمه. كما ورد أنّ الأب دميان وسول البُرص هو هولَنديّ، في حين هو بلجيكيّ. والكمال لله.

أ. ك. حشيمه

Les trois prières d'Abraham
Editions du CERF, Paris, 1998, 200 pages

لويس ماسينيون

صلوات إبرهيم الثلاث

منشورات لوسيرف، باريس، ١٩٩٨، ٢٠٠ صفحة

إنه كتاب فريد من نوعه لباحث ومستشرق عُرف شرقًا وغربًا بمؤلّفاته القيّمة العميقة في التصوّف الإسلاميّ وفي الحلّاج كبير المتصوّفين. هذا الكتاب هو إصدار لبحث كتبه لويس ماسينيون في العام ١٩٠٨، إثر عودته من عالم اللاإيمان إلى ذاتيّة الإيمان الحارّ، إلى المسيحيّة. كتبه مؤلّفه في ذلك الوقت وأعاد كتابه مرارًا، إلّا أنّه رفض دومًا أن يتمّ نشره خارج حلقة مقفلة من الأصدقاء والعارفين والباحثين في بواطن الأمور. كان ماسينيون، في كلّ مرّة، يحسّن ويطوّر نصّه حتّى العام ١٩٦٢، أي تاريخ وفاته، وكان يوزّعه على نفر معدود من المهتمّين بحاليّة ومعاصريّة الوحيّ الإبرهيميّ.

صلوات إبرهيم الثلاث هي تأمّل طويل، كتبه علمانيّ، يريد أن يفهم بعمق مسألة الإيمان الذي يجمع في العمق الديانات التوحيديّة الثلاث. التأمّل هو عودة إلى صلوات إبرهيم في سفر التكوين: الأولى أمام صَدُوم الملجدة، والثانية في بئر سبع من أجل إسمعيل، والثالثة عند ذبيحة إسحق في أعلى الجبل حيث تتجلّى أبرّة لا حدود لمحبّتها. في الصلوات الثلاث هذه، يقول لنا ماسينيون، نتحقّق من إيمان إبرهيم إيمانًا مطلقًا بكلمة الله عدالة ومحبّة وحرّيّة، ونتحقّق من أن لا مصير للبشريّة خارج الوحدة والعلاقة، هذه الوحدة التي مصدرها اختيار إبرهيم حضورَ الله حضورًا وجوديًّا ملتزمًا قضيّة الإنسان.

يجمع ماسينيون في كتابه ذروة العلم بالديانات الثلاث التوحيديّة ومعرفة عميقة بنفسيّة الكائن البشريّ، وقلقه وعطشه إلى الحقيقة. فحبّذا لو يُنْقَل مؤلَّفه هذا إلى اللسان العربيّ.

أ. س. د.

رسول الرحمة: القدّيس مرتينُوس
تأليف الأب إميل الحاجّ البولسيّ
سلسلة «الشهود»، الرقم ٥٧، منشورات المكتبة البولسيّة،
بيروت - جونيه، ١٩٩٧، ٢٩٧ صفحة

يتابع الأب إميل الحاجّ إصداراته في سلسلة «الشهود» التي تكاد تكون بمجملها من تلمه السيّال، فيروي بإيجاز مكثّف وبيان مشوّق سيرة قدّيس ذائع الشهرة في الغرب، عاش إبّان القرن الرابع الميلاديّ، فانتقل من الوثنيّة إلى المسيحيّة بعد أن جذبته رحمة المسيح بالبشر، وتدرَّج من الجندية إلى الكهنوت، فإلى الأسقفيّة مطراناً على مدينة تُور بفرنسا.

وإنّنا، مع إعجابنا بتضلّع حضرة المؤلّف من لغة الضاد، نودّ أن نلفت نظره ونظر سواه إلى أنّ خير كتابة لاسم القدّيس Martinus بالعربيّة هي «مَرْتِينُس» لا «مرتينُوس»، إذ إنّ التشديد في الأصل هو على الصوت ما قبلَ الأخير لا الأخير، لذا يُجْعل حرف العلّة لا أخيرًا بل في المقطع قبلَ الأخير. وعلى هذا النحو يجب تصحيح جميع ما درج عليه أدباؤنا من كتابة أسماء القدّيسين اللاتينيّة كتابةً عشوائيّة، فيوردون، مثلًا، اسم القدّيس Augustinus بصُوَر مغلوطة: أغسطِيُس، أغسطيُوس، أغوسطينوس، وما إلى ذلك، والصحيح: أوغسطِيُس، مراعاةً لحرفَي المدّ في الأصل الأجنبيّ، وهما الأوّل وما قبل الأخير. ولا يُتْرَك حرف العلّة في المقطع قبلَ الأخير إلّا إذا سبقه حرف علّة آخر، نحو: لِيارِيُوس، منعًا للالتباس وخشيةً أن يُقرأ، إذا لم يُشكَّل: لِيارِيس.

أ. ك. ح.

تصحيح غلط

ورد في الصفحة ١١٨ من مجلّد السنة الجارية (١٩٩٨)، السطر ١٦-١٧، ما يلي: «وقد بدا الانشقاق واضحًا عبر العصور». والصحيح، بعد زيادة كلمةٍ سقطت: «وقد بدا خرقُ الانشقاق واضحًا عبر العصور».

التزوير... أيضًا وأيضًا

نكتب هذه الأسطر في حين يلتئم على قاب قوسين من دارنا «المؤتمر الدوليّ لحماية حقوق الملكيّة الفكريّة» (٢٢ نيسان/أبريل ١٩٩٨) لنقول إنّنا بتنا نيأس من جميع الاجتماعات والمؤتمرات والندوات والحلقات التي تغدق علينا الوعود تلو الوعود مدّعيةً حماية المؤلّفين، فلا نرى حتّى الساعة أيّ نتيجة. وقد أشرنا غير مرّة في المشرق إلى عدد كبير من السرقات الأدبيّة التي مُنيت بها دارنا (راجع المجلّد ٦٦ - ١٩٩٢ - ص ٦٧-٧٤، والمجلّد ٧٠- ١٩٩٦ - ص ٢٤١-٢٤٧). ومنذ أيّام وقعنا على نسخة مصوّرة من كتاب أخينا المرحوم الأب لويس شيخو اليسوعيّ: السرّ المصون في شيعة القرمسون، صادرة عن «دار الرائد اللبنانيّ» البيروتيّة بدون أيّ إذنٍ من مطبعتنا «الكاثوليكيّة» أو من دار المشرق وريثها الشرعيّة. فلئن كان مؤلّف شيخو دخل في عالم التراث، إذ مرّ على وفاة صاحبه أكثر من ٥٠ سنة، إلاّ أنّ نصّه المنقّد في مطبعتنا، وهو لا يزال ملكها وملكنا، صُوِّر بحذافيره حاملًا اسم المطبعة بدون موافقتنا.

وما زاد في الطين بلّة أنّنا وقعنا منذ أيّام قليلة على استيلاء آخر من النوع نفسه، إذ سرقت لنا إحدى المكتبات الكبيرات في شبرا بالقاهرة، نصَّ طبعةِ كتاب الاقتداء بالمسيح الصادر عن دارنا. فيا لشناعة المتاجرة الخسيسة بالمقدّسات!

صدر عن دار المشرق

صدر حديثًا عن دار المشرق